كتاب متعلمي/ منتسبي الشعلة

The Initiates of the Flame

تأليف: مانلي بالمر هول

اعداد مكتبة: مكتبة نوافذ الحكمة

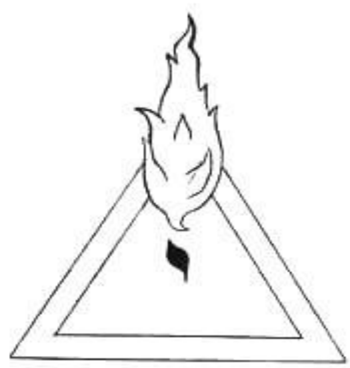
شعار المكتبة التي قامت بإعداد الكتاب

تاريخ نشر الكتاب الأصلي: 1922/ تاريخ نشر الكتاب بالعربية: 2025/12/21

الفهرس:

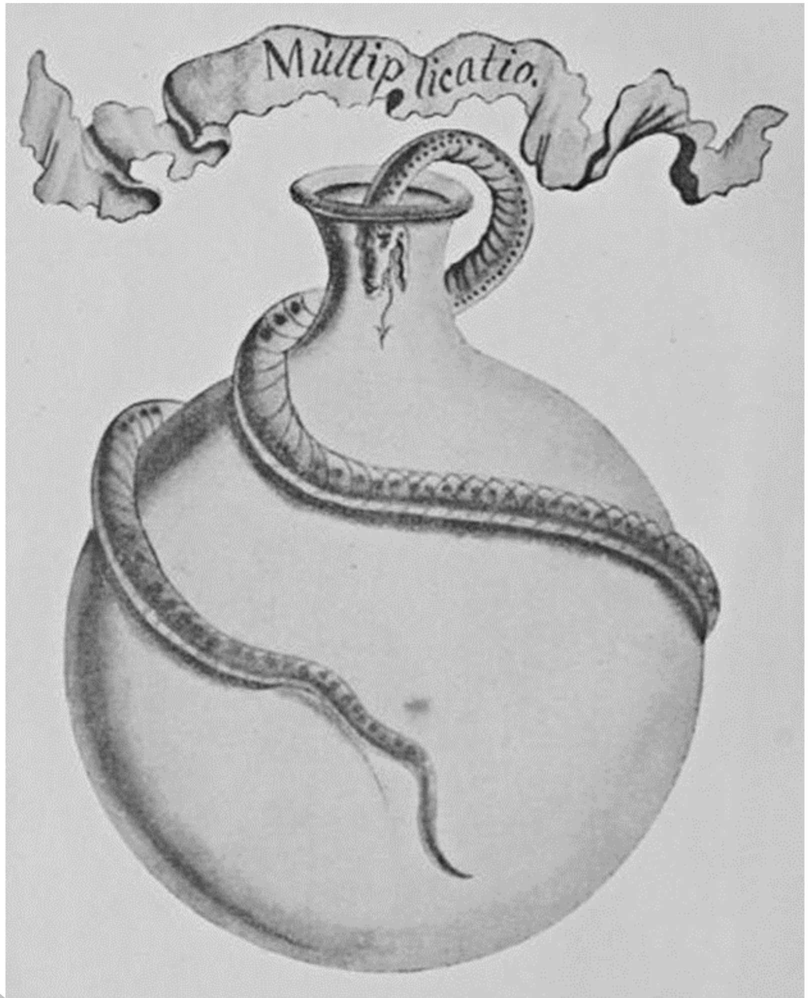
مقدمة غلاف الكتاب كما هو ظاهر

The INITIATES of the FLAME

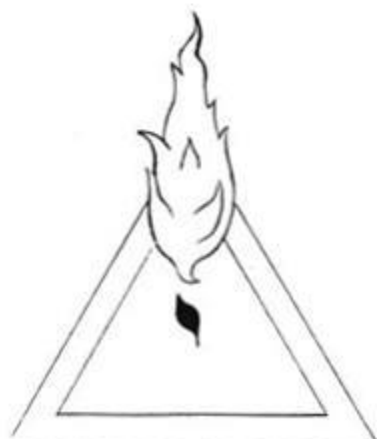


He who lives the Life shall know the Doctrine

FULLY ILLUSTRATED



شعار الشعلة، ربما يحمل معنى التنوير:



He who lives the Life shall know the Doctrine

مقدمة

قلّةٌ تُدرك أنه حتى في هذه المرحلة من الحضارة في هذا العالم، توجد أرواحٌ، ككهنة المعابد القديمة، تسير على الأرض وتحرس النيران المقدسة التي تشتعل على مذبح البشرية. إنهم مُطَهَّرون، تخلّوا عن حياة هذا العالم ليحرسوا اللهب، ذلك المبدأ الروحي في الإنسان، المُختبئ الآن تحت أنقاض معبده الساقط.

عندما نتأمل في الأمم الماضية، في اليونان وروما وعظمة مصر، نتنهد ونحن نستذكر قصة سقوطها؛ ونراقب أمم اليوم، لا ندري أيها ستكون التالية التي تُلفّ نفسها بكفنها وتنضم إلى ذلك الحشد العظيم من الشعوب الميتة.

لكن في كل مكان، حتى في صعود الأمم وسقوطها، نرى من خلال ضباب المادية، العدل؛ في كل مكان نرى الجزاء، ليس جزاء الإنسان بل جزاء الواحد الذي لا يُقهر، اللهب الأبدي.

[٨]

يدٌ عظيمةٌ تمتد من الغيب تُدبّر شؤون البشر. تمتد من تلك الشعلة الروحية العظيمة التي تُغذي كل المخلوقات، النار الخالدة التي تتقد على مذبح الكون المقدس - تلك النار العظيمة التي هي روح الله.

إذا عدنا إلى الأجناس التي اندثرت، فسنجد، إن تأملنا، سبب هلاكها. لقد انطفأ النور. عندما تُسحب الشعلة من الجسد، يموت الجسد. عندما أُزيل النور من المذبح، لم يعد المعبد مسكنًا لإله حي.

تسللت الرذيلة والشهوة والعاطفة، والكراهية والخوف، إلى نفوس اليونانيين والروم، وخيم السحر الأسود على مصر؛ وخفت نور المذبح شيئًا فشيئًا. فقد الكهنة الكلمة، اسم الشعلة. شيئًا فشيئًا، خفتت الشعلة، ومع برودة آخر شرارة، ماتت أمة عظيمة، دُفنت تحت رماد نارها الروحية.

لكن الشعلة لم تخمد. فهي، كالروح التي هي جوهرها، لا تموت، لأنها الحياة، والحياة لا تفنى. في براري الأرض أو البحار، استقرت من جديد، ونشأت حولها أمة عظيمة. وهكذا يستمر التاريخ عبر العصور. ما دام شعبٌ وفيًا للشعلة، تبقى، ولكن عندما يكفّون عن تغذيتها بحياتهم، تنتقل إلى أراضٍ وعوالم أخرى.

يُطلق على من يعبدون هذه الشعلة اليوم اسم الوثنيين. ونادرًا ما ندرك أننا وثنيون حتى نُعمّد بالروح القدس،[9] الذي هو نار، فالنار نور، وأبناء الشعلة هم أبناء النور، كما أن الله نور.

هناك من سعوا على مرّ العصور لمساعدة الإنسان على إشعال هذه الشرارة في داخله، وهي حقه الإلهي. هؤلاء هم الذين أيقظوا هذه النار ورعوها بحياتهم المليئة بالتضحية والخدمة، والذين تعلموا عبر قرون من الدراسة سرّها، والذين نسميهم اليوم "مُبشّري اللهب."

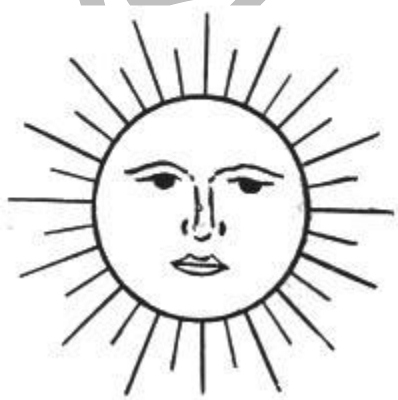
لقد عملوا على مرّ العصور مع البشرية لمساعدتها على اكتشاف النور الكامن في داخلها، وتركوا بصمتهم على صفحات التاريخ، بصمة النار.

عملوا مع الإنسانية دون تكريم أو ذكر، واليوم تُستخدم قصصهم كحكايات خرافية لتسلية الأطفال، ولكن سيأتي يومٌ يُدرك فيه العالم العمل الذي أنجزوه، ويدرك أن حضارتنا الحالية بُنيت على أكتاف عظماء الماضي. نقف اليوم كما وقف فاوست، بكل ما نعرفه من تراث، جهلاء لم نزد حكمةً، لأننا نرفض الحقائق التي منحونا إياها وشهادات تجاربهم. فلنُكرم أبناء اللهب هؤلاء، لا بالكلام، بل بالعيش بما يُخلّد تضحياتهم. لقد أرشدونا إلى الطريق، وقادوا الإنسان إلى بوابة المجهول، وهناك، بأثواب مجدهم، عبروا خلف الحجاب. كانت حياتهم مفتاح حكمتهم، كما ينبغي أن تكون دائمًا. رحلوا، لكنهم بقوا في التاريخ، علامات فارقة على طريق التقدم البشري.

دعونا نتأمل هؤلاء العظماء وهم يمرون بصمت. أولًا، أورفيوس، يعزف على قيثارة كيانه ذات الأوتار السبعة، موسيقى الأفلاك. ثم[10] هيرمس، الأعظم ثلاث مرات، بلوحه الزمردي للوحي الإلهي. ومن خلال ظلال الماضي، نرى كريشنا، المستنير، الذي علّم الإنسان في ساحة معركة الحياة أسرار روحه. ثم نرى بوذا الجليل، ورداؤه الأصفر لا يرقى إلى نصف روعة القلب الذي يغطيه، ومعلمنا الحبيب، يسوع المسيح،

رأسه محاط بهالة من اللهب الذهبي، وجبينه هادئ بسكينة التمكن. ثم يمر أمام أعين الطالب محمد، وزرادشت، وكونفوشيوس، وأودين، وموسى، وغيرهم ممن لا يقلون شأناً. كانوا أبناء اللهب. من اللهب أتوا، وإليه عادوا. يدعوننا للانضمام إليهم، ونرتدي أثواب مجدنا الذي اكتسبناه بأنفسنا لنخدم اللهب الذي يحبونه.

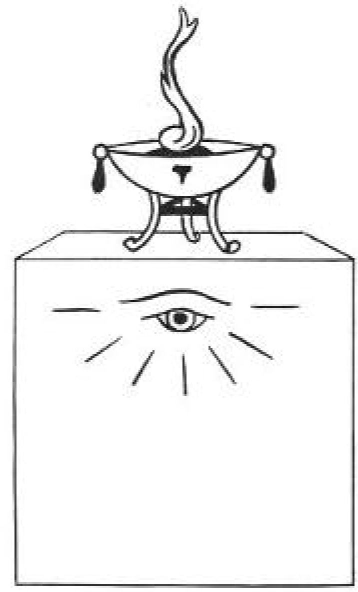
لم يكونوا منتمين إلى أي عقيدة أو عشيرة؛ بل خدموا المثل الأعلى الأسمى. من نفس المكان أتوا جميعاً، وإلى نفس المكان.



أعظم مدارس الأسرار

العالم مدرسة الله. وجودنا في المدرسة لا يُعلّمنا بالضرورة، ولكن في داخلها تكمن فرصة التعلّم للجميع. لها درجاتها وفصولها، وعلومها وفنونها، والالتحاق بها حقٌّ أصيلٌ للإنسان. خريجوها هم معلموها، وتلاميذها جميع المخلوقات. أمثلتها الطبيعة، وقواعدها قوانين الله. على الراغبين في الالتحاق بالكليات والجامعات الكبرى أن يجتازوا، يومًا بعد يوم، وعامًا بعد عام، مدرسة الحياة، وأن يُقدّموا لمعلميهم الجدد الشهادات التي نالوها، والتي كُتب عليها الاسم الذي لا يقرأه إلا من ناله.

قد تبدو الساعات طويلة، والمعلمون قساة، ولكن على كلٍّ منا أن يسلك هذا الدرب، والوحيدون المستعدون للمضي قدمًا هم من اجتازوا بوابة التجربة.



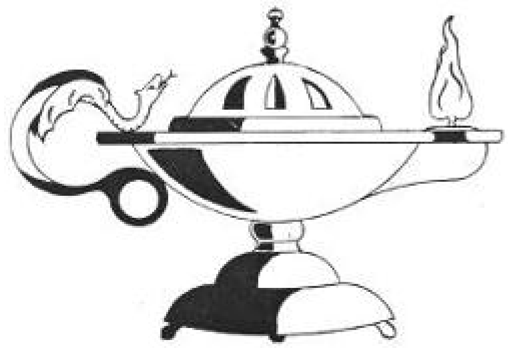
The Cube Altar:

Of the elements of the earth is this altar composed. It is the great cube of matter. On or in this altar burns a Flame. It is this Flame that is the spirit of all created things. **Man, know thyself.** Thou art the Flame, and thy bodies are the living altar.

الفصل الأول:

نار المذبح

منذ أقدم العصور، نجد أن النار لعبت دورًا هامًا في الطقوس الدينية للبشرية. ففي كل دين تقريبًا، نجد نيران المذبح المقدسة، التي كان الكهنة والراهبات يحرسونها بعناية تفوق عنايتهم بأرواحهم. وفي الكتاب المقدس، نجد إشارات عديدة إلى النيران المقدسة التي استخدمها بنو إسرائيل القدماء كأحد أشكال التعبد. ومذبح المحرقات قديم قدم البشرية، ويعود تاريخه إلى زمن ظهور الإنسان الأول، حين خرج من ضباب ليموريا القديمة، ورأى الشمس، روح النار العظيمة للكون. أما أتباع زرادشت، التلميذ الفارسي، فقد استخدموا النار لقرون تكريمًا لإله النار العظيم، أورمزد، الذي يُقال إنه خالق الكون.



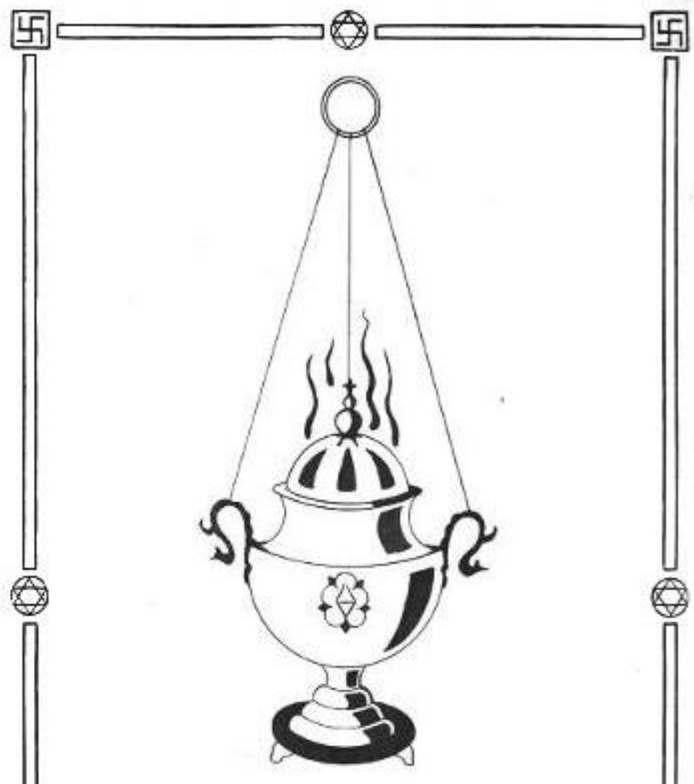
The Everburning Lamp:

Know that the Flame that burns within thee and lights thy way is the ever burning lamp of the ancients. As their lamps were fed by the purest of oil, so thy spiritual Flame must be fed by a life of purity and altruism.

هناك مساران أو قسمان للبشرية يرتبط تاريخهما ارتباطًا وثيقًا بتاريخ تعاليم الحكمة. يجسدان عقيدتي النار والماء، وهما نقيضان في الطبيعة. أولئك الذين يسلكون طريق الإيمان أو القلب، يستخدمون الماء، ويُعرفون بأبناء شيث، بينما أولئك الذين يسلكون طريق العقل والعمل هم أبناء قايين، ابن سمائيل، روح النار. نجد اليوم هذا الأخير بين الخيميائيين والفلاسفة الهرمسيين والورديين والماسونيين.

من المفيد لنا أن ندرك أننا نحن أنفسنا مذبح مكعب الشكل الذي تحترق عليه وفي داخله نار المذبح. لقرون عديدة، كان مريد النار يُغذي ويحرس الشعلة الروحية في داخله، كما كان الكهنة القدماء يراقبون ليلًا ونهارًا نيران مذبح معبد فيستا.

إن مصباح الخيميائي الدائم الاشتعال، الذي ظلّ مشتعلاً لآلاف السنين دون وقود في سراديب الموتى في روما، ليس إلا رمزاً لتلك النار الروحية نفسها الكامنة في داخله. في الصورة، نرى المصباح الدائم الاشتعال الذي كان يحمله المريد في رحلته. إنه يمثل العمود الفقري للإنسان، الذي تتلألأ في أعلاه لهبة صغيرة زرقاء وحمراء. وكما كان مصباح القدماء يُغذّى ويُحافظ على اشتعاله بأنقى زيت زيتون، كذلك ينقل الإنسان في داخله جوهر الحياة ويُطهّره في حوض التطهير، والذي، عندما يُوجّه للأعلى، يُوفّر الوقود للمصباح الدائم الاشتعال في داخله.

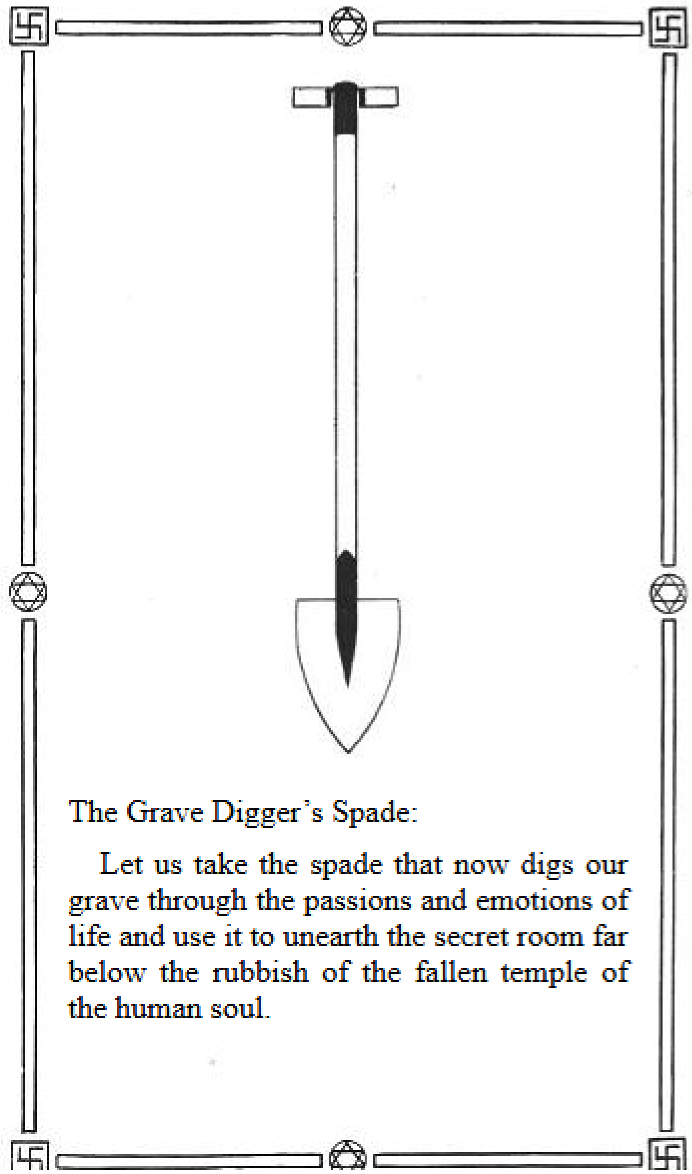


The Masonic Censor:

As the perfume rising from the incense burner was acceptable in the sight of the Lord, so may our words and actions ever be a sweet incense acceptable in the sight of the Most High.

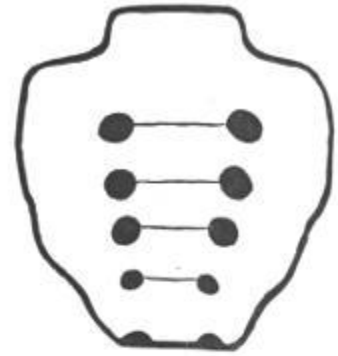
كانت القرابين تُقدّم على مذابح القدماء لآلهتهم. وكان الكاهن الأكبر القديم يُقدّم قرابين من التوابل والبخور. ولا يزال الأخ الماسوني اليوم يستخدم المبخرة كرمز من رموزه، لكن قليلًا من الإخوة يجدون أنفسهم في هذا الرمز. كان القدماء يرمزون بمثل هذه الأشياء إلى نمو الفرد، وكما تحرق الشرارة الصغيرة المشتعلة بين مكعبات البخور كل شيء ببطء، كذلك تحرق الشعلة الروحية داخل الطالب ببطء، محولةً المعادن والخواص الأساسية في داخله، ومقدمةً جوهرها كدخان على مذبح الألوهية. ويُقال إن الملك سليمان، عندما انتهى من بناء هيكله، قدّم الثيران قربانًا للرب، بحرقها على مذبح الهيكل. ويتساءل المؤمنون بحياة خالية من العوائق عن سبب كثرة الإشارات إلى التضحية بالحيوانات في الكتاب المقدس.

يدرك الطالب أن القرابين الحيوانية هي تلك التي تُقدم في دائرة الأبراج، وأن تقديم الكبش أو الثور على المذبح يرمز إلى الصفات البشرية التي تنبع من برج الحمل، رمز الكبش السماوي، وبرج الثور، رمز الثور في دائرة الأبراج. بعبارة أخرى، يُقدم المريد، بعد اجتيازه الاختبارات والتطهير، على مذبح ذاته العليا غرائزه ورغباته الحيوانية الدنيئة. نجد بين الإخوة الماسونيين ما يُسمى رمز الفناء، وهو عبارة عن مجرفة وتابوت وقبر مفتوح، وُضع على التابوت غصن من السنط، أو الشجرة دائمة الخضرة. في الصورة نرى مجرفة حفار القبور، التي اعتُبرت رمزًا للموت لقرون.

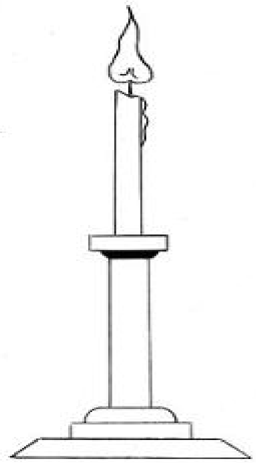

The Grave Digger's Spade:

Let us take the spade that now digs our grave through the passions and emotions of life and use it to unearth the secret room far below the rubbish of the fallen temple of the human soul.

في كتاب تحوت، ذلك النص العجيب الذي وصل إلى الإنسان في مرحلته الحالية من التطور على هيئة أوراق لعب، نجد رمزية بالغة الروعة. فمن بين جميع أوراق اللعب، تُعدّ مجموعة البستوني المجموعة الوحيدة التي تُدير فيها جميع أوراق الصور ظهرها عن النقطة. في جميع مجموعات الملوك والملكات الأخرى، تُشير الوجوه إلى العلامة الصغيرة في زاوية الورقة، أما في مجموعة البستوني، فتُدير وجوهها بعيدًا عنها. يُقال إن البستوني مُستوحى من ثمرة البلوط، لكن لدارس العلوم الخفية رأيٌ آخر. فهو يرى في البستوني، الذي لطالما كان رمزًا للموت، جزءًا من جسده. إذا عدتَ إلى صورة البستوني، سترى، إن كنتَ قد درستَ علم التشريح، أن مجرفة حفار القبور هي العمود الفقري، وأن القطعة التي على شكل بستوني والمستخدمة في أوراق اللعب ليست سوى عظم العجز.



يشكل هذا العظم قاعدة العمود الفقري، وهو أيضًا رمح الآلام. ومن خلاله، ومن خلال الثقوب التي تخترقه، تمر جذور العصب الشوكي، التي هي في الواقع جذور شجرة الحياة. إنه المركز الذي تتغذى من خلاله الفقرات السفلية للعمود الفقري، والعجز، وعظام العصعص التي تحفر قبور جميع المخلوقات. وقد رُمز إلى هذه النقطة بشكل جميل بمجرفة حفار القبور، التي استخدمها إخوان العديد من المنظمات الصوفية عبر العصور. يجب تحويل التيارات والقوى العاملة عبر هذه الأعصاب الشوكية السفلية ورفعها لأعلى لتغذية نار المذبح في الطرف الإيجابي أو العلوي للعمود الفقري.



The Candle:

This is the light that has gone out. It is the candle that is hidden under the bushel. This is the true light that forever dispels the darkness of ignorance and uncertainty. Let the light shine forth through a purified body and a balanced mind. For this light is the life of our brother creatures.

إن تركيز الفكر أو العاطفة على الأمور السامية أو الدنيوية، بحسب الحالة، هو ما يحدد مسار طاقة الحياة. فإذا غلبت المشاعر الدنيئة، خفت لهيب المذبح وانطفأ، لأن القوى التي تغذيه تركزت على تلك المشاعر. أما إذا غلب الإيثار، فإن تلك القوى الدنيوية ترتقي وتخضع لعملية تطهير تجعلها وقودًا للمصباح الدائم الاشتعال. وهكذا نرى لماذا كان انطفاء المصباح خطيئة عظيمة، فعمود اللهب الذي يحوم فوق خيمة الاجتماع، مُطهرًا ومُجهزًا وفقًا لتوجيهات العلي، هو اللهب الروحي الذي يُنير درب الإنسان أينما حلّ.

وشمس مجموعتنا الشمسية، أي الشمس الروحية خلف الكرة الأرضية، هي إحدى هذه الشعلات. بدأت صغيرةً كشمسنا، وبفضل قوة الجذب وتحويل طاقاتها المتزايدة باستمرار، وصلت إلى حجمها الحالي. هذه الشعلة في الإنسان هي "النور الذي يُضيء في الظلام". إنها الشعلة الروحية الكامنة في داخله، تُنير طريقه كما لا يُنيره أي نور خارجي. هذا النور المُشعّ منه يُظهر، شيئًا فشيئًا، خفايا الكون،[24] فيتبدد جهله بنفس القدر الذي ينتشر به نوره، فظلام المجهول لا يُبدد إلا بالنور، وكلما ازداد النور، ابتعد الظلام. هذا هو مصباح الفيلسوف، الذي يحمله عبر دروب الحياة المظلمة، وبنوره يسير بين الحجارة وعلى حافة الهاوية

الضيقة دون خوف. ولكن حتى لو نال كل شيء آخر ولم يكن هذا النور في داخله، فلن يعرف إلى أين يتجه، ولن يستطيع أن يتتبع خطواته، ولن يستطيع أن يُبدد جهله بنور الحق.

لذلك، فليُراقب كل طالب النار المُشتعلة على محرابه. فليجعل جسده مذبحًا، وليجعله أيضًا في غاية الجمال والانسجام، وليقدم عليه البخور والمرّ، أي أفعاله وأعماله. وكما يقدم كل شيء على مذبح الألوهية في خيمة الاجتماع، فليُبدد يومًا بعد يوم رموز الفناء - التابوت والقبر المفتوح اللذان هيأ بهما نفسه من خلال كبح جماح عواطفه الدنيئة - وليُدرك أنه مهما بدت حياته جامدة أو ميتة، فإن مجرد وجوده يُثبت أن غصن السنط، وعد الحياة والخلود، كامنٌ في داخله؛ ومع أن شعلة الحياة قد تبدو خافتة أو باردة، فإنه إن غذّاها بأفعاله اليومية، سيُشعل شعلة المذبح من جديد في داخله، والتي ستُضيء، فتُعين أخاه على إشعال هذه الشعلة، التي هي ذبيحة حية لله الحي.

الفصل الثاني:

مدينة شامبالا المقدسة

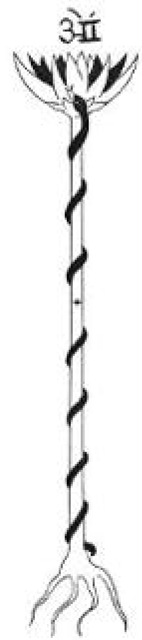
في كل أسطورة وديانة أسطورية في العالم، يوجد مكان واحد يُعتبر مقدسًا فوق كل شيء، مُجسدًا المثل الأعلى لتلك الديانة. بالنسبة للنورسيين، كانت فالهالا، مدينة القتلى، المبنية من رماح الأبطال، حيث كان الاحتفال والحرب هما السائدان. هنا كان الأبطال يقاتلون طوال النهار ويحتفلون ليلًا. كل يوم كانوا يقتلون الخنزير البري ويأكلونه، وفي اليوم التالي يعود إلى الحياة. في الشمال، يُروى أن فالهالا كانت تقع شامخة على قمة الجبال، وأنها كانت متصلة بالأرض عبر جسر بيفروست، جسر قوس قزح؛ وأن الآلهة كانت تصعد وتهبط على هذا الجسر، وأن أودين، أبو الآلهة، نزل من أسغارد، مدينة الآلهة، وعمل وجاهد مع البشر.

أما عند الإغريق، فكان جبل أوليمبوس يُعتبر مقدسًا، ويُقال إن الآلهة سكنت هناك في أعالي قمة جبل. يُقال إن فرسان الكأس المقدسة اتخذوا من جبال وقمم شمال إسبانيا، على جبل سالفارت، مقرًا لهم. ولكل ديانة من ديانات العالم مكان مقدس: ميرو في الديانات الشرقية، وجبل موريا وجبل سيناء (الذي نُقشت عليه ألواح الشريعة)؛ وكلها رموز لمثال عالمي واحد، وكما ادّعت كل ديانة من هذه الديانات وجود قلعة وموطن لها بين الغيوم، كذلك يُقال إن جميع ديانات العالم تتخذ من شامبالا، المدينة المقدسة في صحراء غوبي في منغوليا، مقرًا لها.

وتنتشر بين شعوب الشرق أساطير رائعة عن هذه المدينة المقدسة، حيث يُقال إن المحفل الأبيض الأعظم أو الأخوية يجتمعون لإدارة شؤون العالم. وكما كان عدد الآسير في إسكندنافيا اثني عشر، وكما كان لأوليمبوس اثنا عشر إلهًا، كذلك يُقال إن للأخوية البيضاء العظمى اثني عشر عضوًا، يجتمعون في شامبالا ويديرون شؤون البشر. يُقال إن هذا المركز الديني العالمي قد نزل إلى الأرض عندما أصبحت القبة القطبية، التي كانت أول جزء من الأرض يتبلور، صلبة بما يكفي لدعم الحياة. ويعلم العلم الآن أن للأرض حركتين فقط، هما الدوران حول محورها والدوران حول الشمس، بل ولها تسع حركات أخرى، وفقًا لعالم الفلك الفرنسي فلاماريون. إحدى هذه الحركات هي تعاقب القطبين؛ بمعنى آخر، سيصبح ذلك الجزء من سطح الأرض الذي يُعرف الآن بالقطب الشمالي يومًا ما القطب الجنوبي. ولذلك يُقال إن المدينة المقدسة قد غادرت موقعها المركزي، وبعد ترحال طويل، أصبحت الآن تقع في منغوليا.

سيجد العارفون بالدين الإسلامي شيئًا ذا أهمية بالغة في الحج إلى الكعبة في مكة المكرمة، حيث يتوافد الآلاف كل عام لتكريم حجر إبراهيم، الذي يُقال إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد وضع قدمه عليه. يشقّ الصغار والكبار، بل ويُحمل بعضهم على الأكتاف، طريقهم عبر رمال الصحراء، ويتحملون مشاقًا لا تُحصى، قادمين من مسافات شاسعة، لزيارة المكان الذي يعتزون به ويحبونه. نجد الأمر نفسه في الهند. فهناك العديد من الأماكن المقدسة التي يقصدها الحجاج، كما كان فرسان الهيكل يقصدون قبر المسيح في ديانتنا المسيحية. قليلون هم من يرون في هذا أكثر من مجرد رمز خارجي، لكن الدارس الحقيقي يُدرك الحقيقة الباطنية العظيمة الكامنة فيه. إن الوعي الروحي في الإنسان كحاجٍ في طريقه إلى مكة. وبينما يصعد هذا الوعي عبر مراكز وأعصاب الجسد، يُشبه الحاجّ وهو يصعد جبال سيناء، أو فارس الكأس المقدسة العائد إلى جبل سالفارت.

عندما تنطلق شرارة الإنسان في رحلتها الصاعدة، تتوقف عند العديد من الأضرحة وتزور العديد من الأماكن المقدسة، فكما هو حال الأخ الماسوني وسلّم يعقوب، فإن الطريق المؤدي إلى السماء صاعدٌ وباطني. تخترق نار العمود الفقري مراكز أو مهد العديد من المبادئ العظيمة، وتتعبد في محراب العديد من الجواهر الإلهية في داخلها، لكنها تصعد أزليًا، حتى تصل في النهاية إلى الصحراء الكبرى. وبعد ألم ومعاناة وكدح طويل، تعبر تلك الصحراء القاحلة. هذه هي جثسيماني الإنسان الأسمى، لكنه في النهاية يعبر الصحراء المقدسة، وأمامه في قلب زهرة اللوتس ترتفع المدينة الذهبية، شامبالا.



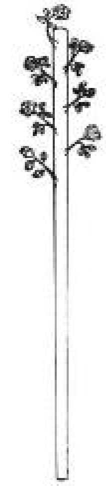
The Lotus:

May your consciousness be lifted upward through the Tree of Life within yourself until in the brain it blossoms forth as the Lotus, that rising from the darkness of the lower world, lifts its flower to catch the rays of the Sun.



FRONTAL SINUS

في الجيب الجبهي، وهو امتداد عظمي بين العينين، يكمن مسكن الروحانية في الإنسان. هناك، في مادة غازية فريدة، تطفو، أو بالأحرى توجد، أو هي الجوهر الرقيق الذي نعرفه بالروح. هذه هي المدينة المفقودة في الصحراء المقدسة، المتصلة بالعالم السفلي عبر جسر قوس قزح، أو الحبل الفضي، وإلى هذه النقطة في النفس يسعى الطالب للارتقاء. هذه هي رحلة الروح المقدسة، حيث يترك الفرد الإنسان الأدنى والعالم السفلي، ويصعد إلى الإنسان الأعلى أو العالم الأعلى، أي الدماغ. هذه هي الرحلة العظيمة إلى شامبالا، وكما أن تلك المدينة العظيمة هي مركز توجيه أرضنا، فإن المدينة العظيمة المقابلة في الإنسان هي مركز نظام حكمه.



The Rod That Budded:

The buds in the Rod are the seven centers within yourself, which when you develop their spiritual powers shine out as centers of fire within your own being. The ancients have taken flowers to symbolize these centers, which when they shine out show that the dead stick, cut from the Tree of Life, has budded.

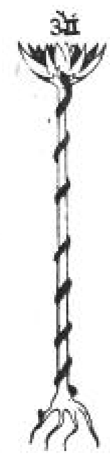
عندما يُسيطر أي شيء آخر على الإنسان، فإنه لا ينسجم مع ذاته العليا، ولا ينال حقه الإلهي الحقيقي إلا عندما تنزل الآلهة، ممثلةً المبدأ الأسمى، من جسر قوس قزح وتُعلّمه الفنون والعلوم. في الشرق، يتطلع الطالب بشوقٍ عظيم إلى الوقت الذي يُسمح له فيه بالعبادة أمام أبواب المدينة المقدسة؛ حين يرى المُريدين في خلوة صامتة حول دائرة الأبراج؛ حين يُكشف النقاب عن إيزيس، ويُرفع غطاء كأس الكأس المقدسة.

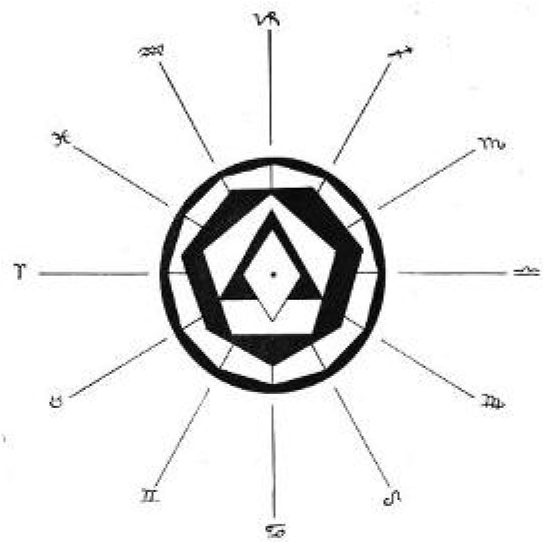
ليتذكر الطالب أن كل هذه الأمور يجب أن تحدث أولًا في داخله قبل أن يجدها في الكون الخارجي. يجب الوصول إلى الإخوة الاثني عشر الأكبر سنًا في داخله وفهمهم أولًا قبل استيعاب إخوة الكون. إذا أراد أن يجد المُريدين العظام في الخارج، فعليه أولًا أن يجدهم في داخله. وإذا أراد أن يرى تلك المدينة المقدسة في

زهرة اللوتس، فعليه أولًا أن يفتح زهرة اللوتس في داخله، وهو ما يفعله بتلة بتلة، حين يُطهّر نفسه ويُوَحِّدها مع المبادئ العليا الكامنة فيه. تُشبه زهرة اللوتس العمود الفقري مرة أخرى؛ جذورها عميقة في المادة؛ وزهرتها هي الدماغ؛ وفقط حين يُرسل إليها الغذاء والقوة، تتفتح زهرة اللوتس في داخله – تُزهر بتلاتها الكثيرة، مُفوحةً عبيرها الروحي.

أحيانًا سترى في واجهات المتاجر آلهة صينية صغيرة ظريفة أو تماثيل بوذا شرقية جالسة على زهرة اللوتس[32]. في الواقع، إذا دققت النظر، ستجد أن جميع الآلهة الشرقية تقريبًا مُصوَّرة على هذا النحو. هذا يعني أنهم قد فتحوا في داخلهم ذلك الوعي الروحي الذي يُسمونه "الشوشوما". لقد رأيت القبعات الصغيرة الظريفة التي يرتديها الآلهة الهندوس. صُممت هذه الرموز لتمثل زهرة مقلوبة، وكما هو الحال مع عصا هارون التي أزهرت، نرى إشارة إلى انفتاح الوعي الداخلي. عندما تنضج زهرة اللوتس، تسقط بذورها، ومن هذه البذور تنبت نباتات جديدة. الأمر نفسه ينطبق على الوعي الروحي، الذي، عندما يكتمل نمو النبتة ويؤدي دوره، ينطلق ليعمل وينتج أشياء أخرى.

في العالم الغربي، استُبدل اللوتس بالوردة. ورود جماعة الروزيكروشيان، وورود الدرجات الماسونية، وكذلك ورود وسام الرباط في إنجلترا، جميعها ترمز إلى الشيء نفسه: إيقاظ الوعي وانفتاح الصفات الروحية للإنسان. عندما يستيقظ الإنسان ويفتح هذا البرعم في داخله، يجد، كما يجد حبوب اللقاح الذهبية في الزهرة، هذه المدينة الروحية الرائعة، شامبالا، في قلب اللوتس. عندما يكتمل هذا المسار الروحي، يتحرر من قمة الجبل، كما في صعود المسيح، ويرتفع الإنسان الروحي، المتحرر بمساره من قيود العبودية، من بين تلاميذه، من ثنايا العقل، مصحوبًا بصيحة المريد العظيمة، التي دوّت في مدارس الأسرار لقرون، حين يمضي الطالب المطهر [33] قدمًا نحو الأعلى ليصبح ركنًا في معبد إلهه. مع تلك الصيحة الأخيرة، يُفهم سر شامبالا الحقيقي، المدينة المقدسة، وينضم إلى صفوف أولئك الذين يرتدون أثوابًا بيضاء من الطهارة، أجسادهم الروحية، ينظرون إلى العالم ويرون آخرين يتحررون بالطريقة نفسها، والذين يدقون أيضًا ناقوس الخطر الأبدي: "consumatum est" (قد تم).





The Philosopher's Stone:

This is the true stone of the philosopher, which gives him power over all created things. This stone is himself. The experiences of his evolution have cut and polished the rough stone until in the Initiate it reflects the light of creation from a thousand different facets.

الفصل الثالث:

لغز الخيميائي

قلما تجد اليوم دارسًا للعلوم الخفية لم يسمع بالخيميائي، ولكن قلّما تجد من يعرف شيئًا عن هؤلاء الرجال الغريبين الذين عاشوا في العصور الوسطى، والذين أخفوا تاريخ الروح تحت رموز كيميائية. في زمنٍ كان فيه التعبير عن أي فكرة دينية يُعرّض المرء للهلاك حرقًا أو على عجلة، عملوا بصمت في كهوف وأقبية تحت الأرض ليتعلموا أسرار الطبيعة التي حرمتهم منها المعتقدات الدينية في عصرهم. لنتخيل الخيميائي القديم، غارقًا في دراسة علوم الطبيعة. نجده بين أنابيب الاختبار وأجهزة التعقيم في مختبره السري. تحيط به مجلدات وكتب ضخمة لمؤلفين قدماء؛ إنه دارسٌ لأسرار الطبيعة، وقد كرّس سنوات، بل ربما حياته، للعمل الذي يُحبه. وقد شاب شعره منذ زمن بعيد.

على ضوء مصباحه الصغير، يقرأ ببطء وبصعوبة الرموز الغريبة على الصفحات التي أمامه. كان ذهنه منصبًا على شيء واحد، ألا وهو العثور على حجر الفلاسفة. وبامتلاكه جميع المواد الكيميائية، وفهمه التام لتراكيبها المختلفة، انكبّ على فرنه ومواقده ليصنع من المعادن الخسيسة ذهب الفلاسفة. وأخيرًا، وجد المفتاح، وكشف للعالم سرّ ذهب الفلاسفة وحجر الخلود. كان الملح والكبريت والزئبق هي حلّ مشكلته؛ منها صنع حجر الفلاسفة، ومنها استخلص إكسير الحياة، وبقوتها حوّل المعادن الخسيسة إلى ذهب. سخر منه العالم، لكنه واصل عمله في صمت، مُنجزًا ما اعتبره العالم مستحيلاً.

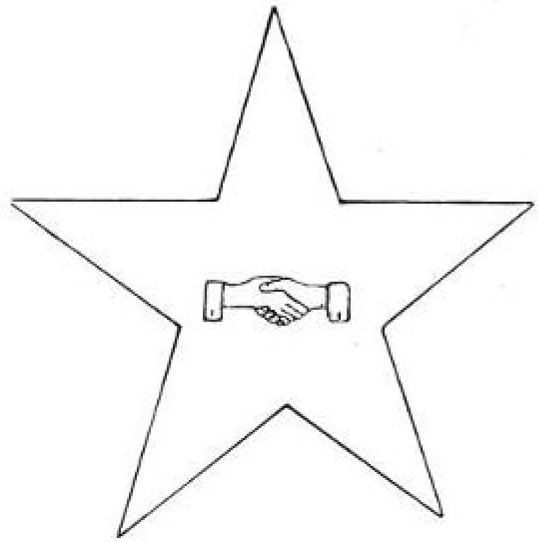
بعد سنوات طويلة من العمل، أخذ مصباحه الصغير وانزلق بهدوء إلى المجهول الأعظم. لا أحد يعلم ما فعله، أو الاكتشافات التي حققها، لكنه، بمصباحه الصغير، ما زال يستكشف أسرار الكون. كما أحاطت نهاية القرن الخامس عشر بالغموض، كذلك يُتوّج فجر القرن العشرين الإنسان بمجد جزائه المستحق، إذ بدأ العالم يُدرك الحقائق التي عرفها، ويتعجب من الفهم الذي اكتسبه بفضل سنوات عمله.

لقد كان الإنسان كيميائيًا منذ أن نهض، وبقواه الكامنة منذ زمن طويل أعلن عن إنسانيته. التجارب هي مواد الحياة الكيميائية التي يُجري عليها الفيلسوف تجاربه[37]. الطبيعة هي الكتاب العظيم الذي يسعى لفهم أسراره من خلال رمزيتها العجيبة. شعلته الروحية هي المصباح الذي يقرأ به، وبدونها لا معنى للصفحات المطبوعة بالنسبة له. جسده هو الفرن الذي يُحضّر فيه حجر الفلاسفة؛ حواسه وأعضاؤه هي أنابيب الاختبار، والحافز هو لهيب الموقد. الملح والكبريت والزئبق هي مواد حرفته الكيميائية. بحسب الفلاسفة

القدماء، كان الملح من الأرض، والكبريت نارًا، والروح، أما الزئبق فكان لا شيء، مجرد رسول كهرمس المجنح عند الإغريق. لونه أرجواني، وهو مزيج من الأحمر والأزرق - أزرق الروح وأحمر الجسد.

يدرك الخيميائي أنه هو نفسه حجر الفلاسفة، وأن هذا الحجر يصبح كالألماس عندما يتحد الملح والكبريت، أو الروح والجسد، عبر الزئبق، رابط العقل. الإنسان هو مبدأ العقل المتجسد كما الحيوان هو مبدأ العاطفة. يقف بقدم على السماء والأخرى على الأرض. كيانه الأسمى يرتقي إلى الأفلاك السماوية، لكن الإنسان الأدنى يربطه بالمادة. الآن، الفيلسوف، وهو يبني حجره المقدس، يفعل ذلك بتناغم روحه وجسده. والنتيجة هي حجر الفلاسفة. تُصقلها قسوة الحياة وتُعيد تشكيلها حتى تعكس الضوء من زوايا لا تُحصى.

[38]



The Five Pointed Star:

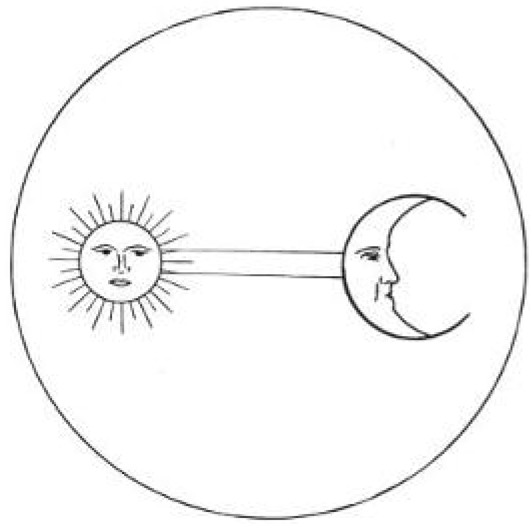
This picture, known to all Masons, is that of the Soul. It is the Star of Bethlehem, which heralds the coming of the Christ within. The two clasped hands are the spirit and body united in the marriage of the Lamb. It is from the union of the higher with the lower that the Christ is born.

إن إكسير الحياة هو نار الروح، أو بالأحرى الوقود الذي يغذيها، ويتحقق تحويل المعدن الخسيس إلى ذهب عندما يُحوّل الإنسان الأدنى إلى ذهب روحي. وهذا ما يفعله بالدراسة والمحبة. وهكذا يبني في داخله البلسم المفقود لشقاء العالم. ويمكن اعتبار تحويل المعدن الخسيس إلى ذهب حقيقةً حرفية، إذ أن نفس التركيبة الكيميائية التي تُنتج الذهب روحياً، تُنتجه أيضاً مادياً. ومن المعروف أن العديد من الخيميائيين القدماء قد صنعوا المعدن النفيس من الرصاص والسبائك وغيرها. ولكن ذلك كان قائماً على مبدأ أن كل شيء يحتوي على جزء من كل شيء آخر؛ بمعنى آخر، كل حبة رمل أو قطرة ماء تحتوي بنسبة ما على كل عنصر من

عناصر الكون. لذلك، لم يحاول الخيميائي أن يصنع شيئاً من العدم، بل أن يستخلص ويبني ما هو موجود بالفعل، وهذا ما يعرفه الدارس أنه المسار الوحيد الممكن.

لا يستطيع الإنسان أن يخلق شيئاً من العدم، ولكنه يحتوي في داخله، في طاقة كامنة، على كل شيء. وكما يفعل الخيميائي مع معادنه، فهو ببساطة يعمل بما هو متوفر لديه. حجر الفلاسفة الحيّ شيءٌ في غاية الجمال. فهو، كالأوبال الناري، يتلألأ بآلاف الألوان، متغيّراً بتغيّر مزاج من يرتديه. إنّ عملية التحوّل، حيث تشعّ النار الروحية، بعد مرورها بفرن التطهير، من الجسد كجسد روحي من ذهب وأزرق، لهي عمليةٌ في غاية الروعة.

[40]

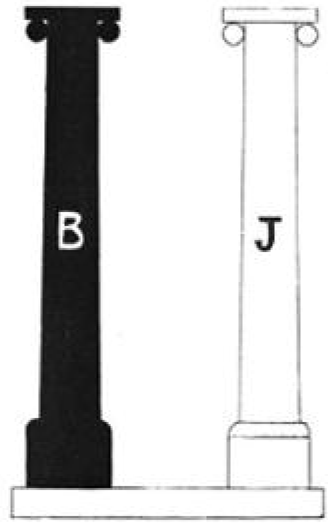


The Marriage of the Sun and Moon:

This takes place in man when the heart and mind are joined in eternal union. It occurs when the positive and negative poles within are united, and from that union is made the Philosopher's Stone.

يتخذ الماسونيون من بين رموزهم نجمة خماسية بداخلها يدان متشابكتان، وفيها يكمن سر حجر الفلاسفة. تمثل اليدان المتشابكتان الإنسان المتحد، حيث يعمل كل من الأعلى والأدنى على تحسين حالهما معًا، من خلال نظام تعاوني لا تنافسي. النجمة الخماسية هي جسد الروح، المولود من هذا التعاون؛ إنها حجر الفلاسفة الحي، أثمن من جميع جواهر الأرض. منها تتدفق أنهار الحياة المذكورة في الكتاب المقدس؛ إنها نجمة الصباح التي تبشر ببزوغ فجر الإتقان، وهي المكافأة التي تنالها من يسيرون على خطى الخيميائي القديم.

... من المفيد للطالب أن يدرك أن كيمياء الحياة تُنتج، بتسلسل طبيعي، جميع مراحل التطور المذكورة في كتابات الخيميائيين، حتى يتحد القمر والشمس في النهاية كما هو موضح في الزواج الهرمسي، وهو في الحقيقة زواج الجسد والروح من أجل التطور المتبادل بينهما. نحن الخيميائيون الذين مارسوا، منذ قرون، دراساتهم عن الروح سرًا، ولا تزال لدينا الفرصة نفسها التي كانت متاحة لنا آنذاك، بل وأكثر، إذ يمكننا الآن التعبير عن آرائنا دون خوف يُذكر من التعرض للأذى الشخصي. وهكذا، يمتلك الخيميائي المعاصر فرصة لم تُتح لأخيه القديم. فهو يرى يوميًا، في زاوية شارع مزدحم، تجارب الطبيعة تُجرى. يرى اختلاط المعادن، ومن كتاب الحياة اليومي، ومن خلال قوة القياس، يستطيع دراسة اللاهوت. ومن خلال التجربة والمعاناة المتكررة، تُصقل روحه بلهيب الحياة. كما أن القمر في دائرة الأبراج يشعل أحداث الحياة مثل الفتيل، كذلك رغباته وأمانيه تشعل قوى روحه، وقد تتحول التجارب إلى صفات روحية عندما يطور العين التي تمكنه من قراءة أبسط الكتب على الإطلاق - الحياة اليومية.

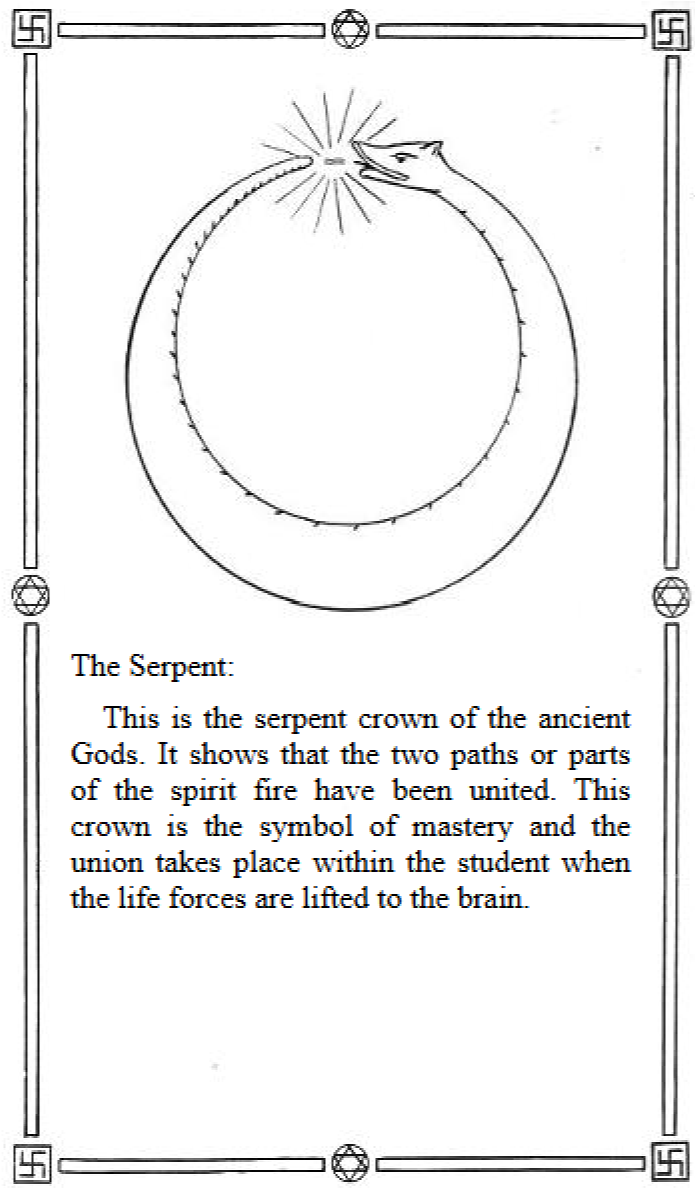


The Pillars of the Temple:

These pillars symbolize the heart and mind, the positive and the negative poles of life. Those who would enter the temple must pass BETWEEN the pillars. Every extreme is dangerous. It is the point between all poles that is safe to stand upon. You cannot enter the temple by the development of either the heart or mind alone, but only by the equal development of both.

لم يعد الكيميائي المعاصر منعزلاً في الكهوف والأقبية، يدرس وحيداً، بل مع استمراره في عمله، تُبنى حوله جدران، وبينما هو في العالم، كحال أسلافه، فهو ليس منه. ومع تعمقه في عمله، يخفت نور نصائح الآخرين ومساعدتهم الخارجية شيئاً فشيئاً، حتى يقف وحيداً في الظلام، وحينها يحين وقت استخدام مصباحه الخاص، وتكون تجاربه المتنوعة دليله. عليه أن يأخذ إكسير الحياة الذي طوره، ويملأ به مصباح وعيه الروحي، ويرفعه فوق رأسه، وينطلق نحو المجهول العظيم، حيث إن كان خادماً صالحاً مخلصاً، سيتعلم أسرار الكيمياء الإلهية. حيثما تكون أنابيب الاختبار والزجاجات أدواته الآن، سيدرس العوالم والكرات الأرضية،

وسيتعلم، كمراقب صامت، من ذلك الإلهي، الخيميائي الأعظم للكون بأسره، الخيمياء الأعظم على الإطلاق، خلق الحياة، والحفاظ على الشكل، وبناء العوالم.



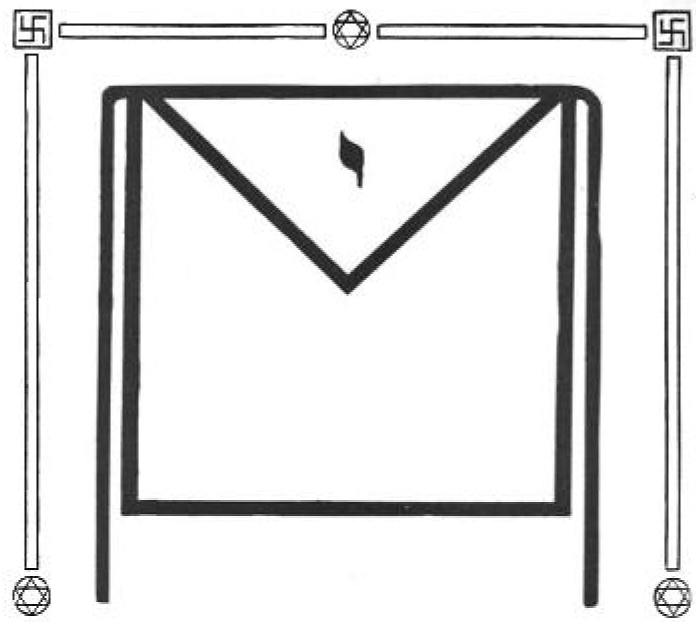
The Serpent:

This is the serpent crown of the ancient Gods. It shows that the two paths or parts of the spirit fire have been united. This crown is the symbol of mastery and the union takes place within the student when the life forces are lifted to the brain.

الفصل الرابع:

المعلم المصري

مرّت عصورٌ عديدة منذ أن عبر الملك الكاهن المصري أعمدة طيبة. قبل غرق أطلانطس بآلاف السنين، وقبل الميلاد بآلاف السنين، كانت مصر أرضًا زاخرةً بالحقائق العظيمة. مُدّت يد الأخوية البيضاء العظمى إلى إمبراطورية النيل، وترددت أصداء ترانيم المُتَنَصِّين في ممرات الأهرامات القديمة. في ذلك الحين، حكم الفرعون، الذي يُوصف الآن بأنه نصف بشري ونصف إلهي، مصر القديمة. فرعون هي الكلمة المصرية القديمة التي تعني ملك. كان العديد من الفراعنة اللاحقين منحطين وقليلي الشأن. أما الفراعنة الأوائل فقط فهم الذين نُدرجهم اليوم ضمن الملوك الكهنة.

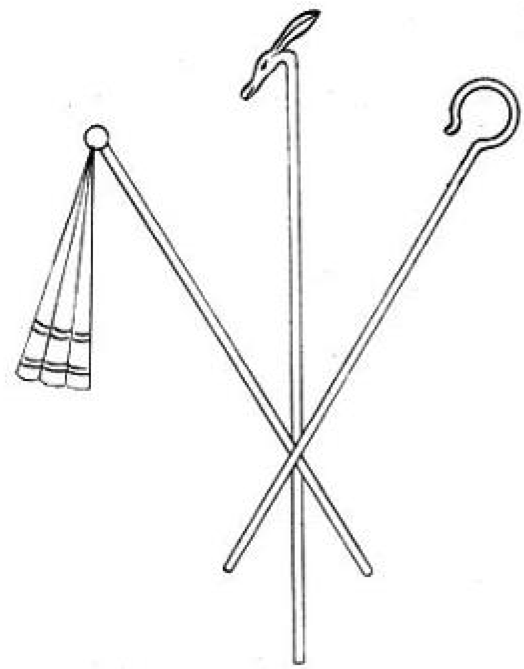


The Masonic Apron:

In the triangle we see spirit descending into the square of matter. Let us so purify matter that spirit may shine through it and make of us lights to guide the footsteps of humanity.

تخيّل للحظة قاعة الأقصر العظيمة، بأعمدتها المنقوشة التي تحمل قبابًا من الجرانيت الصلب، كل عمود منها محفور عليه تاريخ الآلهة. هناك، في أعلى القاعة، جلس فرعون النيل بثيابه الرسمية، وحوله مستشاروه، وعلى رأسهم كاهن المعبد. كان مشهدًا مهيبًا: جسد الأطلنطي العملاق، مرتديًا الذهب والجواهر النفيسة؛ وعلى رأسه تاج الشمال والجنوب، رمز الإمبراطورية المزدوجة القديمة؛ وعلى جبهته ثعبان المبتدئ الملتف، الثعبان الذي رُفع في البرية ليحيا كل من ينظر إليه؛ تلك القوة الكامنة في الإنسان، التي التفت رأسًا على عقب حول شجرة الحياة، فأخرجته من جنة الرب، لكنها رُفعت على الصليب، فأصبحت رمزًا للمسيح.

كان الفرعون من أتباع برج العقرب، والثعبان هو طاقة العقرب المتحولة، والتي تُسمى طاقة الكونداليني، وهي الطاقة التي تصعد في الفرد المتجدد. كان هذا الثعبان رمزًا للتنوير. كان يعني أن الثعبان قد نهض في داخله، لأن الفرعون الحقيقي كان كاهنًا لله، وسيدًا للبشر. جلس هناك على عرش المذبح المكعب، مما يدل على سيطرته على العناصر الأربعة لجسده المادي - قاضي الأحياء والأموات، الذي على الرغم من كل قوته ومجده، وعلى الرغم من عظمة أعظم إمبراطورية في العالم، إلا أنه كان ينحني في خشوع لإرادة الآلهة. كان يحمل في يديه صولجان النيل الثلاثي، وعصا الراعي، وعصا أنوبيس، والسوط. كانت هذه رموز عمله. إنها تمثل القوى التي أتقنها. بالسوط أخضع جسده المادي. كان بعصا الراعي حارسًا وحافظًا لجسده العاطفي؛ وبعصا رأس أنوبيس كان سيد عقله وجديرًا بممارسة سلطات الحكم على الآخرين، لأنه، قبل كل شيء، كان يطيع القوانين بنفسه.



The Sceptres of Egypt:

These are the three bodies that are the tools with which we are to build our temple. When they are mastered they are the living proof of our right to kingship.

بكلّ أثوابه الرسمية، وبجعرانه على صدره، وعينه التي ترى كل شيء فوق عرشه، لم يكن هناك شيء أثمن أو أقدس لدى ملك الكاهن المصري القديم من الحزام المثلث أو المئزر الذي كان رمزًا لانضمامه. حمل مئزر المصري القديم نفس الرمزية التي يحملها مئزر الماسونية اليوم. فقد كان يرمز إلى تطهير الأجساد، عندما يُغطى مركز المشاعر الدنيا، برج العقرب، بفرو الخروف الأبيض رمزًا للتطهير. كان رمز تطهيره هذا أثمن ما يملكه الفرعون القديم؛ وهذه الشارة البسيطة، التي كان يرتديها كثيرون ممن هم أدنى منه رتبةً ومكانةً، لكنهم يساوونه في التطهير الروحي، كانت أثمن شيء على الإطلاق بالنسبة لملك الكاهن. هناك جلس، مكتوبًا عليه بكلمات المُنتسب، رموز تطهيره وإتقانه، ملكًا حكيمًا لشعب حكيم. ومن خلال هؤلاء

الملوك الكهنة تجلّت العناية الإلهية، إذ كانوا من رتبة ملكي صادق. ومن خلالهم تشكّلت تلك العقيدة التي لم يستطع الانحطاط طمسها تمامًا، والتي نعرفها بالحق الإلهي للملوك - إلهي لأن الله استطاع، من خلال الروحانية والنمو، أن يُظهره من خلالهم. لقد كانوا أدوات واعية في يد كاتبٍ مُلِمٍّ، راغبين وفخورين بالقيام بعمل أولئك الذين انسجمت معهم من خلال المعرفة والحق.



The Sacred Scarab:

In this form the ancient Egyptians worshiped Khepera, the rising Sun, and the sacred scarab was buried with the dead as the symbol of resurrection. For as the sun rises from the darkness of night, so the divine spirit rises from the body that is no more. The life is eternal.

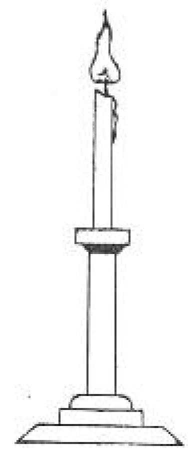
لكن حان الوقت، كما هو الحال في جميع الأمم، حين تسللت الأنانية والغرور إلى قلوب الملوك والشعوب على حد سواء، وانسحبت يد الأخوية البيضاء العظمى التي كانت ترعى مصر القديمة تدريجيًا، وحوّلت قوى الظلام أرض المجد إلى أرض خراب، ودُفنت أسماء الملوك العظام تحت وطأة الانحطاط. هزّت

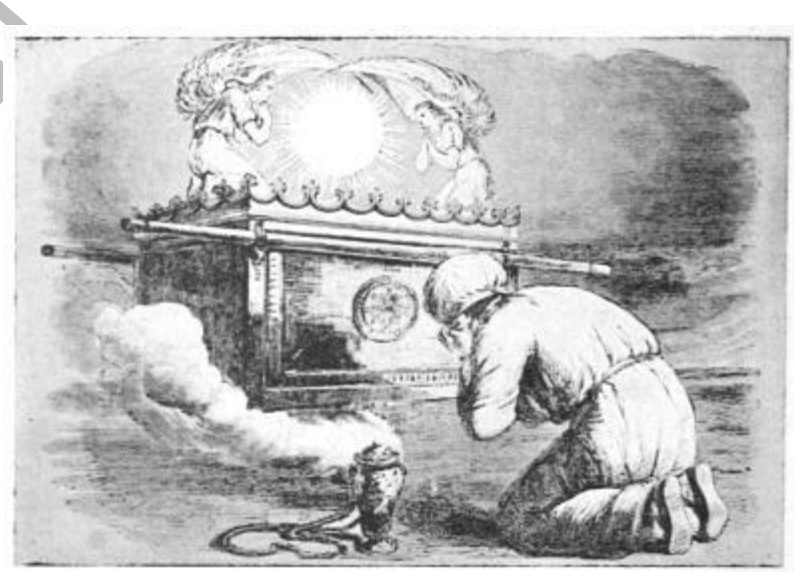
كوارث عظيمة العالم، ومن أرض الظلام حملت الأخوية البيضاء العظمى الشعب المختار إلى أرض الميعاد؛ مصر، أرض المجد، تلاشت إلى غبار.

معابد الفراعنة العظيمة أصبحت أطلالًا، ومعابد إيزيس ليست سوى أكوام متكسرة من الحجر الرملي. ولكن ماذا عن الملوك الكهنة الذين عملوا هناك في أيام مجدها؟ ما زالوا بيننا، فمن كانوا قادةً في الماضي هم قادةٌ اليوم، إن استمروا في السير على الدرب. مع أن صولجانه قد زال، وملابسه الكهنوتية قد تآكلت، إلا أن الملك الكاهن لا يزال يسير على الأرض بالوقار والقوة والبساطة الطفولية التي جعلته عظيمًا في السابق. لم يعد يرتدي أردية رتبته. ورغم أنه لا يحمل أي أوراق اعتماد، إلا أنه لا يزال ملكًا كاهنًا كما كان، لأنه لا يزال يحمل الشارة الحقيقية لرتبته. لقد حلّت المعرفة والمحبة محل الأفعى الملتفة. واليد التي منحت ثروات الماضي تقوم الآن بأعمال خير صغيرة. ورغم أنه لم يعد يحمل صولجانات ضبط النفس، إلا أنه لا يزال يُظهر هذا الضبط في حياته اليومية. ورغم أن نيران المذبح في معبد الكرنك قد انطفأت منذ زمن طويل، إلا أن النار الحقيقية في داخله لا تزال متقدة، وقبل ذلك لا يزال ينحني كما كان ينحني في أيام مجد مصر[52]. مع أن الكاهن لم يعد مستشاره، وحكماء بلاده لم يعودوا يعينونه في شؤون الحكم، إلا أنه ليس وحيدًا أبدًا، فالكهنة ذوو الثياب البيضاء والمستشارون ذوو الثياب الزرقاء ما زالوا يسيرون معه، يهمسون بكلمات القوة حين يحتاجها.

هل رأيتَ أناسًا أحببتهم رغم مظهرهم؟ هل رأيتَ أناسًا ساحرين كرهتهم رغم جاذبيتهم؟ هل رأيتَ علماء كانوا حمقى أو أثاروا فيك هذا الانطباع، أو أناسًا قليلي المعرفة ومع ذلك شعرتَ بحكمتهم؟ تلك هي علامات المكانة، التي لا يمحوها فقدان اللقب أو المنصب. كانوا ملوكًا، متوجين أو غير متوجين، لا دمى ترتدي زينة رخيصة. وما زالوا ملوكًا، وسيظلون كذلك إلى الأبد، وما زالوا يُظهرون مكانتهم، لا بتفوقهم أو غرورهم، بل بصفاتهم الروحية التي تشع منهم. لا تزال نقاء حياتهم يشعّ من أولئك الذين ارتدوا مئزر المُريد، فبينما تآكل ذلك المئزر المثلث المرسوم عليه الثعبان منذ زمن بعيد، لا يزال نظيره الروحي يشعّ في حياتهم اليومية، مُثبتًا بما لا يدع مجالًا للشك أنهم كانوا ملوكًا كهنة، ولا يزالون كذلك حتى اليوم. نجدهم في كل مناحي الحياة - في المناصب الرفيعة وفي قاعها. ولكن أينما وجدناهم، فهم لا يزالون ناطقين باسم الآلهة، ومن خلالهم يأتي الوعد لكل من يسعى. إنهم ملوك، ليسوا ملوك الأرض بل ملوك السماء، وفي حياة سيدنا نجد من انضم إلى أولئك الذين خدموه، وكان ملكًا حقيقيًا حتى عندما كان تاجه الوحيد إكليلًا من الشوك.

ولا تزال طقوس التكريس مستمرة في هرم الجيزة؛ ولا يزال المُريد يتلقى شارة رتبته. أمام تلك النار الكامنة في داخله، يُقسم عهوده، وعلى مذبح كيانه الأسمى المُشتعل، يضع تاجه وصولجانه، أثوابه وجواهره، أحقاده ومخاوفه، ويُقدّس حياته كملك كاهن، ويُقسم ألا يخدم إلا ذاته العليا، الإله الكامن في داخله. أثوابه هي جسد روحه، وتاجه هو حياته، وفي شوارع الحياة يتربع على عرشه. تتلاشى الأبراج المُظلمة ومداخن المصانع من حوله في أعمدة معبد الأقصر، وبيده علبة طعام، ووجهه أسمر من ترابٍ صادق، هو ملكٌ كما كان حين استقر تاج النيل المزدوج على جبينه، وجعله كاهن المعبد واحدًا مع إلهه وبني جنسه.





الفصل الخامس:

تابوت العهد

يُعدّ رمز التابوت، أو الصندوق الذي قيل إنه يحوي الآثار المقدسة، من أكثر الرموز إثارةً للاهتمام التي ورثناها عن القدماء. يعتقد كثيرون أن هذا الرمز خاص بالأمة اليهودية، لكن هذا خطأ فادح، إذ كان امتلاك التابوت حقًا مكتسبًا لكل أمة. وقد فقدت جميع الأمم، كالشعب اليهودي، الكثير من قوتها ومجدها بفقدانها التابوت المقدس. كان التابوت معروفًا جيدًا في بلاد الكلدان وفينيقيا القديمة. وتحتفي به الهند باسم زهرة اللوتس، ويروي المصريون القدماء كيف سُجن إله القمر أوزوريس في تابوت. في جميع الديانات الباطنية في العالم، فرديًا وجماعيًا، يُمثّل التابوت منبع الحكمة. وفوقه يحوم مجد الشكينة، كعمود من اللهب ليلًا وعمود من الدخان نهارًا. لقد شهدت كل دولة وشعرت بحضور الحق حين يُخرج الكهنة والملوك والمُريدون من حضارة قديمة، ضاعت بسبب التجمّد، التابوت المقدس، ويحمله المؤمنون بالحق إلى بلاد أخرى وبين شعوب أخرى.

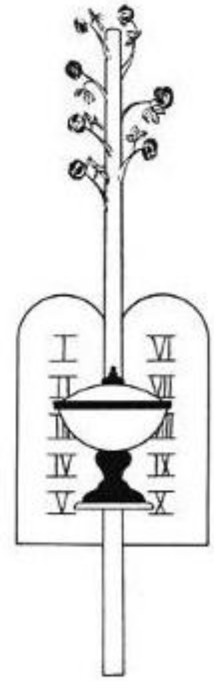
في كل عقيدة ودين نجد التجمّد. نجد جماعات صغيرة من الناس تنفصل عن إخوانها في الإنسانية. نجد من يتمسكون بالقديم، ويرفضون التقدم مع الجديد، وكلما وجدنا هذا التجمّد، وجدنا روح الحق تنتقل إلى شعوب أخرى وتتجسد في مذاهب أخرى. لم يُنزع من تابوت بني إسرائيل القديم العصي التي حُمل بها ونُقل، حتى وُضع أخيرًا في هيكل سليمان. كذلك لا تهدأ جذوة الروح في الإنسان حتى تُتوّج في قدس أقداس هيكله الشمسي. حاملو هذا الحق المقدس يحملونه دائمًا نحو شروق الشمس.

تولد الأمم من محبّي الحق، وتُدفن حين ينسونه. لقد حان الوقت الذي حمل فيه حاملوها الصامتون التابوت المقدس ومجد الشكينة، وساروا في موكب مهيب عبر المياه حاملين إياه إلى العالم الجديد. دوّى النداء في أرجاء الكون، وأحاط المخلصون لمبادئهم السامية بالصندوق المقدس. أولئك الذين أقسموا الولاء لروحهم العليا يتبعون الكهنة وحملهم المقدس، ويجري بناء معبد غامض بديع في أرضنا الجميلة هذه، يحبه ويحرسه أولئك الذين يعملون من أجل الإنسانية. لا تزال العصي في التابوت، ولن تبقى فيه إلا عندما يُستغلّ خيرًا حقًا.

[57]

الفرصة سانحة الآن أمام العالم الغربي. معرفة القدماء، وحكمة العصور، تطرق الأبواب وتبحث عمن سيتبعها. توقف حاملو التابوت، وهم يجمعون نواةً من النفوس الروحية لمواصلة عملهم، وبقاء كلمة الرب مع أي أمة مرهونٌ بأفعالها، وأفعال الأمة هي نتاج جهود أفرادها. فإن لم تجد الأمة هنا ما ينسجم معها، وإن لم تجد إلا القليل ممن يستجيبون لندائها، نداء الخدمة والأخوة، فحينئذٍ سيرفع كهنتها عصيهم من جديد، وينطلق العمل المقدس إلى بلاد أخرى.

إن حياة بلدٍ كهذا قد اندثرت، فمثل مدينة البوابة الذهبية القديمة، ستُبتلع في غياهب النسيان. النداء يتردد، وعلى من يحبون الحق، ويفكرون في النور ويهتمون به، أن ينضموا إلى تلك الجماعة من الخدام الذين كرسوا أنفسهم لقرونٍ لحفظ الحق. لقد بذلوا أرواحهم أضعافًا مضاعفة، وكانت سعادتهم في المرتبة الثانية بعد واجبهم. إنهم حُماة الكلمة المقدسة، وقانون الجذب يجذب إليهم كل من يحب الحق ويعيش وفقًا له. يتدفق فيض عظيم من النور الروحي على من يعيشون الحياة ويتعلمون العقيدة، وبغض النظر عن القبيلة أو البلد، فقد انضموا إلى صفوف الحراس والعاملين الصامتين حول تابوت العهد المقدس. كل فرد، بأفعاله اليومية، يعبّر بوضوحٍ يفوق الكلمات عن مُثله العليا ورغباته وموقفه من هذا العمل العظيم. إن الموقف الجماعي لعددٍ من الناس إما أن يحجب النور أو يسمح بدخوله. لذلك، يقع على عاتق كل فرد واجبٌ عظيم، وعملٌ عظيمٌ يجب إنجازه، وعلى الطالب الحقيقي أن يُكرّس حياته له. حينها، أينما ذهب، ومهما فعل، فهو مُهدى، ومجد الشكينة يُرشد خطواته.



The Rod that Budded, the Pot of Manna, and the Tablets of the Law:

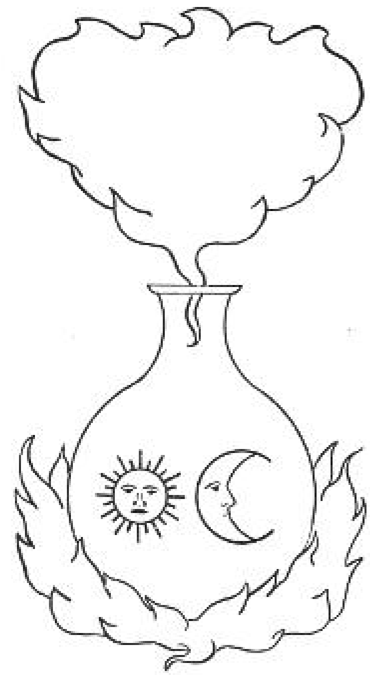
In these three things contained within the Ark we see the threefold spirit contained within the ark of man's bodies.

في عقل الإنسان، بين جناحي الكروبيم الراكعين، يوجد غطاء الرحمة، وهناك يتحدث الإنسان مع إلهه كما كان كاهن خيمة الاجتماع يتحدث مع روح الرب التي تحوم بين جناحي الملائكة. الإنسان هو التابوت مرة أخرى، وفي داخله المبادئ الثلاثة: الآب والابن والروح القدس - ألواح الشريعة، وجرة المن، والعصا التي أفرخت. ولكن كما في حالة بني إسرائيل القدماء، عندما تبلورت أفكارهم، أُزيلت جرة المن والعصا التي أفرخت من التابوت، ولم يبقَ سوى الألواح أو حروف الشريعة. عندما يتبلور الإنسان ويستبعد جوانب مختلفة من عقله، فإنه يستبعد قوة الحياة التي كانت تتدفق إليه. بإغلاقه على الغرباء، يغلق على حياته، ولا يبقى له سوى ألواح الشريعة، الأسباب المادية التي انقطعت عنها الحياة الروحية.

يُشكّل هيكل سليمان، أو الهيكل المُكمّل للجسد البشري، والهيكل المُكمّل للكون، والهيكل المُكمّل للروح، في نهاية المطاف، المزار الأمثل للتابوت الحي. هناك، على رأس صليب عظيم، يُوضع، وهناك، في الإنسان، يثبت تثبيتًا أبديًا. تُزال أعمدة القطبية التي كان يُحمل عليها، فيُصبح كائنًا حيًا، مكانًا دائمًا يُناجي فيه الإنسان ربه. هناك، يُناجي الإنسان، الكاهن المُطهّر، المُتوشّح بأردية رتبته، ثياب روحه، الروح المُحلقة فوق غطاء التابوت. هذا التابوت في الداخل حاضر دائمًا، لكن لا يُمكن للإنسان الوصول إليه إلا بعد أن يجتاز الفناء الخارجي للمسكن، وبعد أن يجتاز جميع درجات التنشئة، وبعد أن يحصل على الدرجة الثالثة ويُصبح سيدًا أعظم. حينها فقط يستطيع الدخول إلى حضرة ربه، وهناك في الحجرة المظلمة، مضاءً بجواهر صدره، يُناجي العليّ، الجوهر الروحي الحقيقي في داخله.

نسعى جاهدين لتحقيق هذا، وسيأتي الوقت الذي يعرف فيه كل إنسان سرّ التابوت بنفسه، حين يُهدى الطالب، من خلال التطهير، إلى قدس الأقداس، فيُغمر بنور الحق. كان هذا حقه الموروث الذي باعه بثمن بخس. "لهذا جاء إلى العالم، ليشهد لهذه الحقيقة، لكي يخلص بها جميع الناس". التابوت، ذلك المبدأ الروحي العظيم، محاطًا بعماله المحبين، يدعو الجميع لاتباعه.

عندما يُباد شعب عظيم بسبب المادية والانحطاط، أو تغرق قارة تحت المحيط، يُدعى الصادقون إلى التابوت، ويُقادون، كخدام أمناء، من أرض الظلام إلى العالم الجديد والجنة الموعودة. جميع التعاليم العظيمة تُشير إلى الشيء نفسه. سيجد الطالب[61] أن هذا صحيح، وعندما يتحالف مع قوى النور، وعندما يصبح قناة للتعبير عنه، وعندما يشعه من نفسه إلى كل من يحتاجه، فحينئذ سيحميه النور وسيصبح شمسًا من شمس الله.





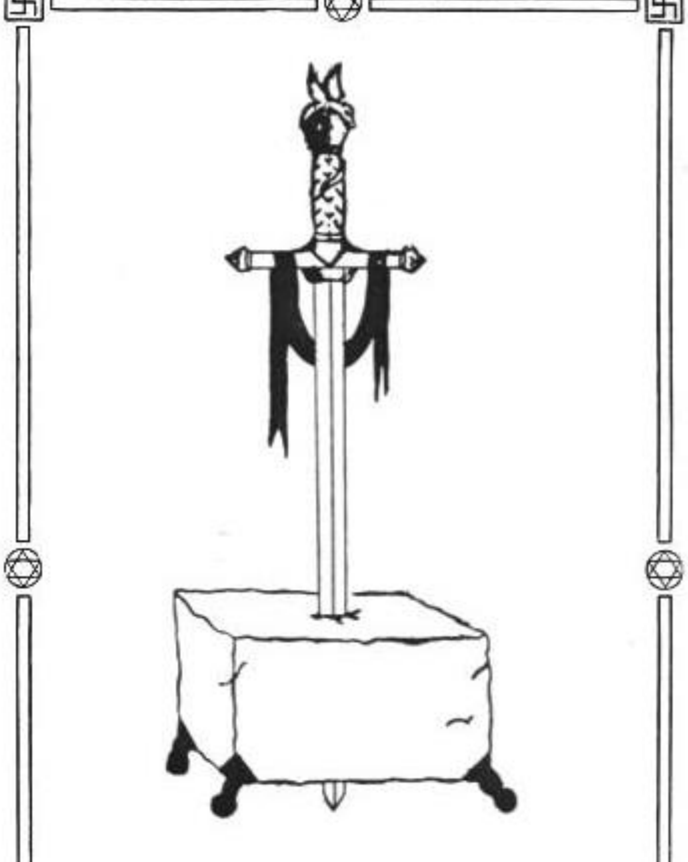
The Holy Grail:

See in this cup your own body within which is the life blood of the Sun Spirit of the Universe. Each day that we live we perpetuate the Last Supper, and in all that we do we drink again the blood of Christ, the life power of the Cosmos.

الفصل السادس:

فرسان الكأس المقدسة

قبل الشروع في دراسة أساطير الكأس المقدسة، يُنصح كل مهتم بقراءة الحكايات المصنفة ضمن قصص الأطفال الخيالية. فعلى سبيل المثال، تُعد قصة الملك آرثر ومائدته المستديرة أسطورة كونية، ومع أنه لا شك في أنه عاش كإنسان، إلا أن اللغز الحقيقي، كما في قصة المسيح، ليس في القصة الحرفية، بل في الحقيقة الصوفية أو الخفية العظيمة التي أخفتها وراء الرمزية والمثل. وينطبق الأمر نفسه على قصة بارسيفال، التي لا يمكن فهمها وتقديرها حقًا إلا عندما يرى الدارس في فارس الكأس المقدسة، ثم ملكها، تطوره الروحي والإغراءات التي يجب عليه التغلب عليها ليصبح ملكًا للكأس المقدسة.



The Stone and the Sword:

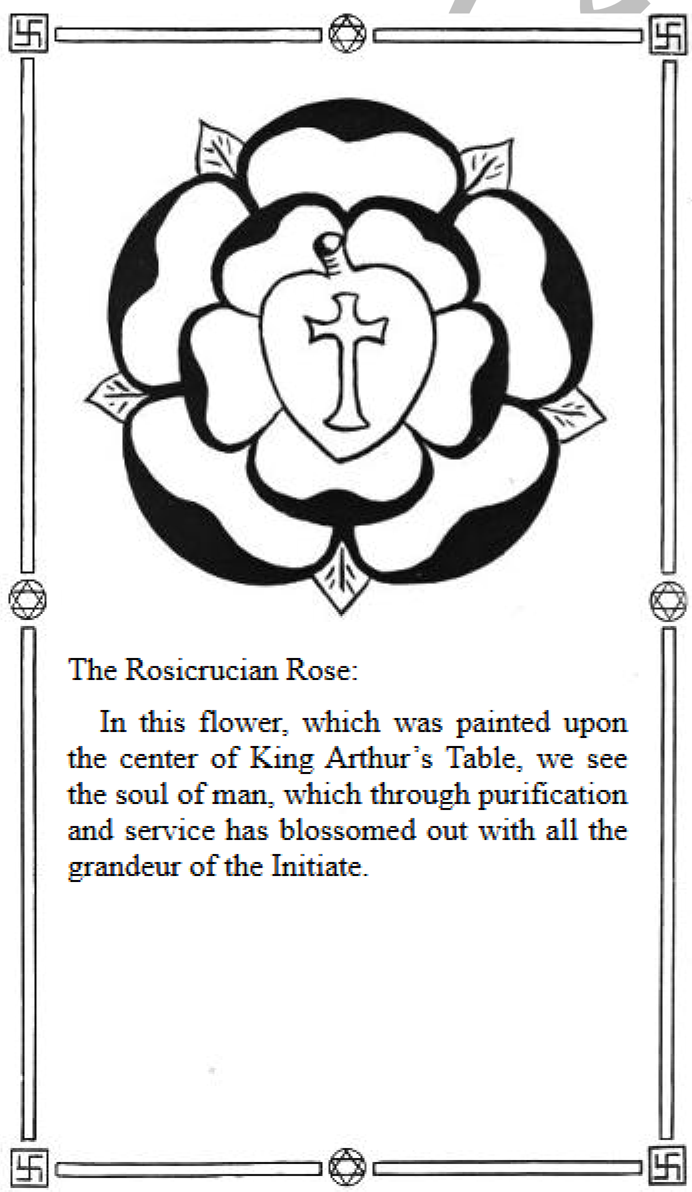
WHOEVER CAN DRAW THIS SWORD FROM THIS STONE IS THE MASTER OF THE UNIVERSE.

في أوبرا لوهينغرين، تُعرض الحقيقة نفسها للعالم. إنها درب التنوير الذي يجب على كل فرد أن يسلكه في رحلته نحو إتقان ذاته. لكل أمة ولكل لغة، وُهبت أساطير مقدسة لتعليم الإنسان الطريق الذي يجب أن يسلكه. هوميروس الأعمى عند الإغريق، الذي روى رحلات أوديسيوس، قدّم للعالم الحقائق العظيمة نفسها. استخدم كتّاب النرويج والسويد القدماء، وأنبياء اليهود، الوسائل نفسها، وفي كل مكان، من الكتب المقدسة للشرق إلى أساطير الهنود الحمر، نجد حقيقة واحدة مترابطة، رُويت لشعوب مختلفة بطرق تناسب تطورهم.

من هذه الحقائق أسطورة المائدة المستديرة، التي قُدّمت للملك آرثر كهدية زفاف. كل دارس حقيقي يعرف معنى ذلك الزفاف. ليس زفافًا أرضيًا، بل زفاف الروح والعقل في داخل المريد نفسه، حين يتحد الروح

والجسد أبديًا، ويتعهد كل منهما بتكريم الآخر وحمايته. ومن هذا الزواج كان زواج آرثر وجينيفر في أسطورة الملك.

لنبدأ أولًا بدراسة مجيء الملك آرثر. نقرأ في أسطورة آرثر عن الساحر ميرلين، الحكيم الذي قيل إنه كان مسؤولًا عن الملك المنتظر في شبابه. يُمثل ميرلين يد الأخوين الأكبرين، اللذين أدركا قدوم ملك عظيم، فكرسا نفسيهما لإعداده لمهمته.



The Rosicrucian Rose:

In this flower, which was painted upon the center of King Arthur's Table, we see the soul of man, which through purification and service has blossomed out with all the grandeur of the Initiate.

بتوجيه من ميرلين، العقل المدبر، رُفع السندان والحجر المغروس فيه السيف في ساحة المدينة عندما حان وقت اختيار ملك جديد. وهو أيضًا من دعا جميع فرسان البلاد الشجعان وأخبرهم أن من يستطيع سحب

السيف سيصبح ملكًا على الأرض كلها. ومن بين جميع فرسان البلاد، كان آرثر، الفتى الذي لم يبلغ بعد، الوحيد القادر على سحب السيف.

يكمن في هذا الرمز الإلهي سرٌّ عظيمٌ للروح. لنقرأ الأحرف المنقوشة على السيف: "من يسحب سيف هذا الحجر والسندان هو الملك الحكيم المولود في إنجلترا."

يرمز الحجر المكعب إلى الجسد؛ وقد رُمز إليه بهذا الرمز لقرون، واليوم، يُعدّ حجر آشلر رمزًا للإنسان عند الماسونيين. التجربة هي السندان، وعليها يُصقل السيف. السيف هو الروح، ومن أراد أن يكون ملكًا بالمعنى الروحي الحقيقي للكلمة، عليه أولًا أن يُظهر قوته الإلهية بتحرير سيف الروح من قيود الإنسان الأدنى ودنيا الدنيا.

وهو الرمز نفسه الذي استخدمه لاحقًا السير جالاهايد، الفارس البريء، تجسيد الإنسان المُطهر، الذي جاء بلا سيف، لكنه تسلح لاحقًا بسيف الروح الذي استلّه من المكعب الذي كان يطفو في نهر الحياة مارًا بكاميلوت. كان السير جالاهايد يتمتع بقوة عشرة لأن قلبه كان نقيًا، وعلى فارس اليوم أن يسير على الدرب نفسه.



The Sacred Spear:

This is the spear of Passion that pierces the side of the Christ, the higher principle in man. But when in the hand of the pure of heart this power can heal the very wound it caused.

إذا كنت قد قرأت قصة الملك آرثر، فستتذكر كيف مُنح إكسكاليبور، السيف المسحور، وكيف خرج من الماء ممسكًا بيدٍ مُغطاةٍ بالبياض. يُمثل إكسكاليبور النور والحقيقة، وهو سلاح المُريد الحقيقي.

في إنجلترا، لا تزال مائدة الملك آرثر المستديرة مُعلقة على جدار إحدى قاعات المحاكم. في وسط المائدة وردةٌ جميلةٌ مرسومةٌ بألوانٍ طبيعية. هذا الرمز هو رمز الروزيكروشيين، الكيميائيين القدماء، وهناك صلةٌ مباشرةٌ بين أسطورة الملك البريطاني وفلاسفة النار القدماء.

والآن، دعونا نُلقي نظرةً سريعةً على تاريخ الكأس المقدسة، أو الكأس التي شرب منها المسيح في العشاء الأخير والتي قيل إنها جمعت دمه وهو يحتضر على الصليب. تُخبرنا الأساطير القديمة أن هذه الكأس صُنعت من حجرٍ مُقدسٍ كان جوهرة تاج لوسيفر، طاقة الكون الديناميكية. قيل إن الحجر الأخضر قد انتُزع من تاج لوسيفر على يد رئيس الملائكة ميخائيل خلال المعركة الشهيرة في السماء.

بعد موت المسيح، يُقال إن يوسف الرامي أخذ الكأس المقدسة ورمح الآلام وحملهما إلى أرض بعيدة. جال يوسف مع رفاته المقدسة في أنحاء أوروبا، ويُقال إنه توفي هناك. بعد قرون من المعاناة، حمل من خلفوه الرفات المقدسة إلى جبل سالفارت في شمال إسبانيا، حيث بقيت حتى أخذ بارسيفال الكأس المقدسة والرمح عائدًا إلى الشرق، حيث يُحفظان الآن.

[70]

حول هذه الكأس والرمح نُسجت أساطير بارسيفال والملك آرثر، ومن خلال دراسة هذه الحقيقة نستطيع فهم سرّ المحفل الأبيض العظيم الذي تُمثله مائدة آرثر المستديرة ومعبد فرسان الكأس المقدسة الدائري.

مع أن الكأس لم تعد رمزًا ماديًا، إلا أنها ما زالت حاضرة بيننا، وكما كان فرسان المائدة المستديرة الشجعان في سالف الزمان يخرجون للقتال من أجل الحق، كذلك فرسان اليوم المنتمون إلى الأخوية البيضاء العظمى يخرجون إلى العالم باسم الحقيقة، ويعملون جنبًا إلى جنب مع البشرية، ساعين إلى إصلاح ما أفسدته. ويُقال إن فرسان بلاط الملك آرثر كانوا دائمًا يقاتلون من أجل الفضيلة والنقاء، وكذلك فعل أولئك الذين خرجوا من جبل سالفارت.

كأس الكأس المقدسة رمزٌ لقوة الطبيعة الخلاقة، وهي أيضًا رمزٌ للجنس البشري الذي يتعلم ببطء أسرار الخلق. وفي الكأس دم المسيح، تلك القوة التي تُحوّل الجسد إلى روح، بسرعة أو ببطء، بحسب ما نمنحها من فرص.

في الرمح المقدس نجد رمزًا آخر للقوة الخلاقة، التي في يد كلينغسور، الشرير، تُجرح وتُسبب المعاناة، ولكنها حين يحملها بارسيفال الطاهر تشفي الجرح الذي أحدثته.

تُعلّم هذه الرموز البشرية درسًا عظيمًا، لكنّ عامة الناس لا يرغبون في التوقف والتأمل فيها. فهم لا يدركون أنهم هم أنفسهم من يجب على إخوانهم الأكبر سنًا في الإنسانية استخدامهم في معركتهم ضد قوى الشر. ولا

يدركون أن التنانين والغيلان في الأساطير هي تجسيد لطبيعتهم الدنيئة التي يجب عليهم التغلب عليها. ولا يرون في قتال الفرسان القدامى على يد سيدة صراعًا بين الإنسان الأعلى والإنسان الأدنى على روحه.

لا يدرك فارس اليوم أن درعه الأبيض هو جسده الطاهر، المنيع ضد كل هجمات الرذيلة والشهوة، ومع ذلك، فهذا هو مغزى الأسطورة. درعه هو الحقيقة، وهي حماية مثالية لباطنه. ذراعه اليمنى القوية هي المعرفة والقوة الروحية التي نمّاها في داخله، وسيفه هو النور الروحي الذي يبدد به لهيب نار الروح النقي ظلام الجهل وشياطين الشهوة.

الرمح المقدس والكأس التي يخدمها هما قطبا قوة الحياة الخلاقة الكامنة فيه، والتي ينميها كلما خدم بني جنسه يوميًا.

بعيدًا عن غير المطلعين، يراقب الإخوة الاثنا عشر الأوائل للبشرية، الجالسون حول مائدة الكون المستديرة، الفرسان في معركتهم الحياتية، ويأتي الوقت الذي يُحرر فيه الطالب، بعد إتمامه عمله هنا، عند سفح الكأس المقدسة. هناك يقف المرشح متوشحًا من رأسه إلى أخمص قدميه بدرع الروح، وجسده أبيض ناصع بعد أن طُهر. ثم يُرفع الغطاء عن الكأس المقدسة، فيُضاء بنور كان سيهلكه لو رآه دون تطهير. عندها ينضم إلى فرسان المائدة المستديرة، وينضم إلى أولئك الذين ضحوا بكل شيء وكرسوا أنفسهم لخدمة الإنسانية.

عندما نتضرع في المرض والمعاناة إلى المجهول العظيم أن يرسل لنا العون، فإن فارسنا سيأتي إلينا كما جاء لوهينغرين إلى إلسا. عندما يرحل أحباؤنا إلى المجهول العظيم، يقف هناك شقيق الكأس المقدسة، الخفي أيها المساعد الصالح، الذي استحقّ، عبر أيام من العمل، أن يصبح عضوًا في تلك الجماعة العظيمة من الخدام الذين يجتمعون حول مائدة الملك، وبينما أجسادهم نائمة، يواصلون العمل في بحثهم العظيم عن النور والحقيقة، ويصلّون من أجل اليوم الذي يصبحون فيه هم أيضًا ملوك الكأس المقدسة.

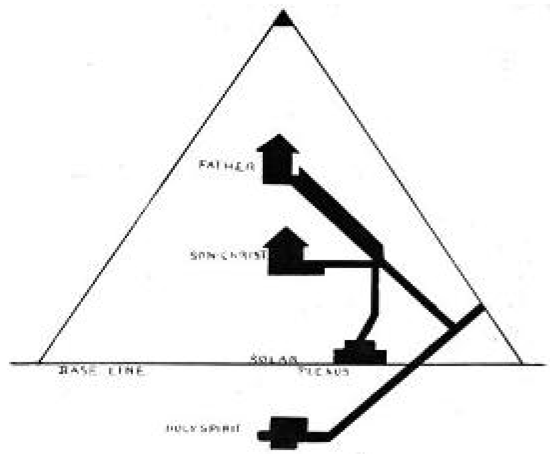


الفصل السابع:

لغز الهرم

يأتي وقتٌ في مسيرة طالب العلوم الباطنية يُدرك فيه أحد أعظم أسرار المُتخصصين، ألا وهو أن كل شيء مُقدس خارج ذاته يُمثل عضوًا أو وظيفةً داخله. وهذا ينطبق، بالطبع، على الهرم الأكبر، إلا أن هذا البناء الحجري، الذي يُقال إنه أقدم بناء على وجه الأرض، هو رمزٌ عظيم للإنسان المُركب. بعبارة أخرى، هو يُمثل الإنسان كوحدةٍ متكاملة.

لننظر إليه أولًا من منظورٍ خارجي. عندما ننظر إليه من بعيد، يبدو كحجرٍ واحدٍ ضخم، ولكن كلما اقتربنا، نرى أنه مُكوّن من آلاف الأحجار الصغيرة، كلٌ منها مُثبتٌ في مكانه بدقة. هنا نرى أول تشابه بين الهرم والإنسان. فنحن نعتبر الإنسان وحدةً متكاملة، ولكن عندما نُمعن النظر، نجد أنه عددٌ كبيرٌ من الوحدات الصغيرة، كلٌ منها يعمل بتناغمٍ مع الأخرى. وينطبق هذا على كل شيء. نأخذ الحياة الناجحة ونفكر فيها ككل متكامل، ولكن عندما نفحصها، نجد أنها عبارة عن عدد من الإنجازات الصغيرة مجتمعة معًا.



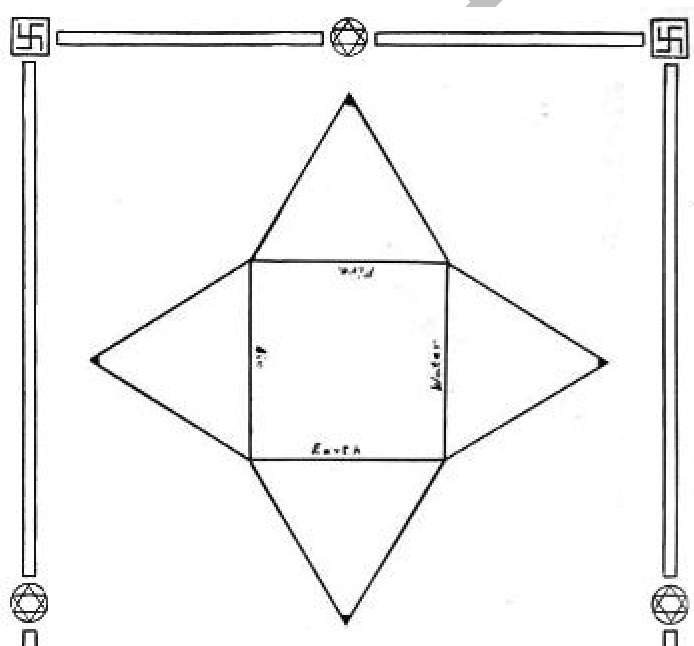
Cross Section of the Great Pyramid of Gizah.

كما استُخدم آلاف العمال في بناء الهرم، كذلك هناك عدد لا يُحصى من العمال الذين يعملون في بناء أجسادنا، والتي ترمز إلى البناء نفسه.

تنتشر الأهرامات في أنحاء العالم. نجدها في أمريكا الجنوبية والمكسيك؛ ونجد تلالًا بُنيت لتمثيلها لدى الهنود الحمر، وفي أوروبا وبريطانيا نجد بقايا مماثلة. لكن لا يوجد في العالم إلا هرم واحد حقيقي. حتى الأهرامات الأخرى في مصر ليست سوى نسخ من الهرم الأكبر، وقد استُخدمت كمقابر للفراعنة، لكن لم يُعثر على أحد في هرم خوفو، ولم تكن هناك أي دلائل على استخدامه لهذا الغرض.

والآن، لنُكمل تشبيهنا بين الهرم والإنسان. إذا نظرت إلى الرسم التوضيحي المرفق، سترى الهرم مُسطحًا، وستلاحظ أنه مُكوّن من أربعة مثلثات مُرتبة حول قاعدة مربعة. تُمثل قاعدة الهرم الرباعية العناصر الأربعة التي يتكون منها جسم الإنسان. هذه هي الهيدروجين والنيتروجين والأكسجين والكربون، أو الأرض والماء والنار والهواء. تُسمى هذه العناصر أساس كل شيء، وعلى هذا الأساس تنشأ أجسام الإنسان الأربعة، كلٌّ منها من عنصره. وهكذا ينشأ الجسم المادي من الأرض، والجسم الحيوي من الماء، والجسم العاطفي من النار، والجسم العقلي من الهواء.

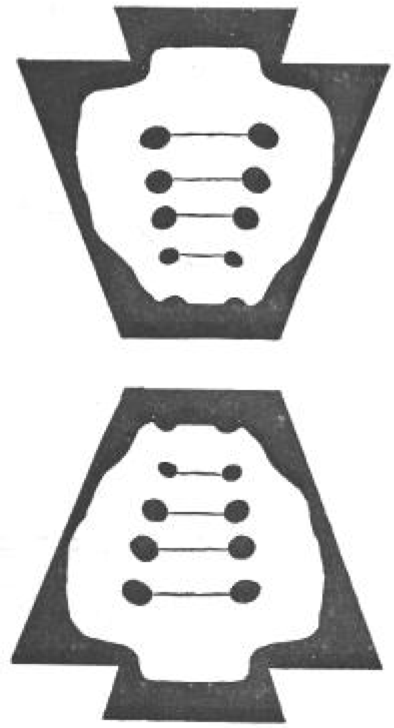
[76]



The Pyramid:

Here we see the pyramid laid out so that the four triangles and the square are clearly seen. This represents man once again, and the ancient Pyramid is man offering his higher being upon the altar of the Great Fire Spirit.

تُستخدم اثنا عشر خطًا في رسم المثلثات الأربعة، التي ترمز إلى البنية الكاملة للإنسان: الجسد، والعقل، والنفس، والروح. كما تُشير هذه الخطوط إلى الأبراج الاثني عشر، مُقسّمة إلى مجموعاتها.



في قلب الصحراء، يقف تمثال أبو الهول، حارس العتبة الذي ذكره بولور ليتون. يرمز أبو الهول إلى أجساد البشر، وهو ذلك الكائن الغريب الذي لا بد من اجتيازه قبل أن يتمكن الطالب من مواصلة مسيرته في التطور. أما الأبراج الأربعة الثابتة التي يرمز إليها أبو الهول فهي: الثور، والأسد، والعقرب، والدلو، أو رأس الإنسان.



The Sphinx:

This is that mysterious being suspended 'twixt heaven and earth, which has the head of a human being and the body of an animal. In other words the Sphinx symbolizes man.

لقد سبق أن كلفتكم ببعض العمل على عظم العجز، وأخبرتكم أنه مجرفة حفار القبور. إليكم صورة لرأس أبو الهول، وعظم العجز المقلوب بعد قلبه للأعلى. نرى أبو الهول في عظم العجز المقلوب، ونرى فيه أيضًا حجر الزاوية الماسوني المقلوب. كل هذا مثير للاهتمام، ولكن ما لم ندرك معناه الباطني، فإن قيمته الحقيقية تضيع. ولكن ليس من قبيل الصدفة أن تكون الأمور على هذا النحو.

لقد سمع معظمكم عن ساكن العتبة، ذلك المخلوق الذي بناه أفعالنا وأخطاؤنا. ها هو يقف في صحراء مصر، سادًا الطريق إلى الهرم، معبد الإنسان الأسمى. والرسالة التي يوجهها للعالم هي:

"أنا الأجساد. إذا أردتم الصعود إلى المعبد، فعليكم أن تتغلبوا عليّ، لأني في داخلكم".

...يرمز أبو الهول مجددًا إلى الإنسان، بعقله وروحه اللذين ينبثقان من غرائزه وعواطفه. إنه لغز العصور، والإنسان هو الحل مرة أخرى.

يُقال إن أبو الهول كان في العصور القديمة بوابة الهرم، وأن هناك ممرًا تحت الأرض يصل بين أبو الهول وخوفو.[80] وهذا يُضفي على الرمزية مزيدًا من الكمال، إذ أن بوابة الروح، وفقًا للمعتقدات القديمة، تمر عبر الأجساد.

لندخل الآن الهرم، ونجتاز الممرات لنصل إلى حجرة الملك، كما تُسمى. توجد ثلاث غرف عظيمة في الهرم تُثير اهتمام الدارس. أعلاها حجرة الملك، ثم تليها حجرة الملكة، وأخيرًا تحت سطح الأرض تقع الحفرة. هنا نجد مجددًا الترابط الوثيق بين الهرم والإنسان. الغرف الثلاث هي الأقسام الثلاثة الرئيسية في الإنسان، وهي مراكز الروح الثلاثية. الغرفة السفلى هي الجهاز التناسلي الخاضع لسيطرة يهوه. الغرفة المركزية، أو حجرة الملكة، هي القلب، الخاضع لسيطرة المسيح؛ والغرفة العلوية، أو حجرة الملك، هي الدماغ، الخاضع لسيطرة الآب. في هذه الغرفة العلوية يوجد تابوت حجري، لم يُفسَّر معناه قط، لكن الطالب يُدرك أنه البطين الثالث في الدماغ.

من المؤكد أيضًا أن هذا التابوت استُخدم كقبر أثناء مراسم التلقين، حيث كان يُدفن المرشح في الأرض ويُبعث، كما هو الحال في مراسم التلقين الماسونية اليوم (وهي بقايا من الأسرار القديمة)، رمزًا لموت الإنسان الأدنى وتحرير الإنسان الأعلى.

يُقال إن موسى تلقى التلقين في الهرم الأكبر، ويقول البعض أيضًا إن يسوع تلقى تعليمه هناك. على أي حال، نعلم أنه منذ آلاف السنين [81]، منذ أن بناه الأطلنطيون، ظل أعظم معبد للتلقين في العالم. يبدو أيضًا أن مهمتها لم تكتمل بعد، فهي تُعلّم بصمتٍ أولئك الذين سيدركون أسرار الخلق.

يقول كثيرون إنها هيكل سليمان الأصلي، لكننا نعلم أن هذا غير صحيح، فبينما قد يكون الهيكل المادي الأول والأصلي، فإن هيكل سليمان الحقيقي هو الكون، هيكل الإنسان الشمسي، الذي يُعاد بناؤه ببطء في الإنسان كمعبد لروح الإنسان.

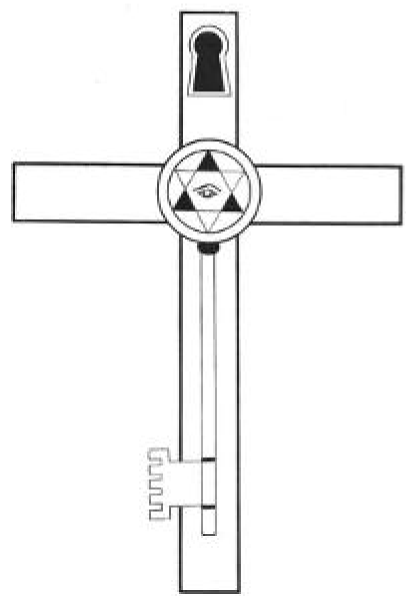
ربما لا توجد نقطةٌ أهم في سياق الهرم من حجر الزاوية. في قمة الهرم الأكبر، توجد بقعةٌ مسطحةٌ نسبيًا مربعة الشكل تقريبًا، طول ضلعها ثلاثون قدمًا. بعبارة أخرى، الحجر الحقيقي، رأس جميع الزوايا، مفقود.

إذا نظرنا إلى الوجه الآخر لختم الولايات المتحدة، نجد الهرم الذي انفصلت قمته عنه. يكشف لنا الشاعر الفارسي عمر الخيام سرّ حجر الزاوية حين يقول:

"من معدني الرخيص يُصنع مفتاح،

يفتح الباب الذي يصرخ خارجه".

تتضح قيمة هذا الحجر حين ندرك أنه يُكمّل جميع المثلثات دفعةً واحدة، وبدونه لا يكتمل أيٌّ منها.



The Key and the Cross:

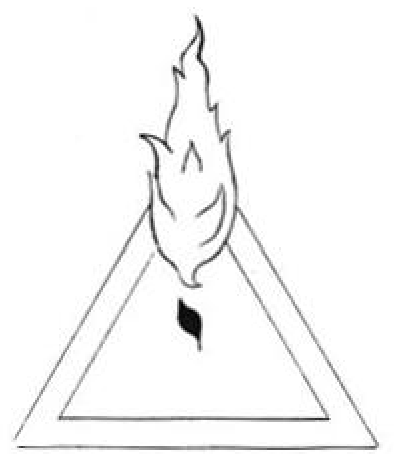
Upon the cross of matter that forms our bodies, hangs the key to all the mysteries of creation. It is our duty to take this key and with it unlock the door that conceals from us the unknown. This key is the spirit. Release it.

هذا الحجر هو الروح الكامنة في الإنسان، التي سقطت من مكانتها الرفيعة، وضاعت تحت ركام الإنسان الأدنى. هذا هو الحجر الأسمى الحقيقي المختبئ الآن في جوف معبد الإنسان، والذي يجب عليه استخراجه ووضعه من جديد كتاج حقيقي لهرمه الروحي.

لا يمكنه فعل ذلك إلا عندما يجمع آلاف العمال في داخله ويربطهم بخدمة الإنسان الأسمى. يجب ألا يكون هناك خونة يقتلون الباني هذه المرة. ولوسيفر، الذي رفضه الإنسان باعتباره الشيطان، هو من يجب عليه، عبر كوكب المريخ، أن يرسل للإنسان الطاقة الديناميكية التي يجب على الإنسان نفسه تحويلها من نار العاطفة إلى لهيب الروح. ثم عليه أن يأخذ أدوات الحرفة ويصقل كيانه ليصبح الحجر الأسمى للمعبد الكوني.

من المثير للاهتمام ملاحظة كيف نُقلت أحجار التغليف التي كانت تُزيّن الهرم بجمالها وروعتها لبناء المدن المجاورة، وفي هذا السياق، من المثير للاهتمام ملاحظة كيف ضُحّي بروح الإنسان وجسده، وهما حجرا تغليف معبده الروحي، ليحصل على الماديات.

بينما نتأمل صور الهرم القديم وأبو الهول اللذين صمدا على رمال مصر لقرون، فلننظر إليهما في معبدنا الغامض، الذي بُني دون صوت مطرقة أو هدير عامل. وبينما نتأمل بحزن هذا الخراب العظيم، الذي أفسدته قرون من الإهمال، فلنتذكر معبدنا، وأن حجر زاويته مفقود أيضًا، وأن جدرانه تنهار بسبب الإهمال. فلنتعلم الدرس الذي يُعلّمنا إياه،[84] ولنسارع إلى إكمال هرمنا، ولنُتوّجه بحجر الروح، ولنُقدّم على مذابحه قرابيننا لروح الشمس العظيمة، ولندفن طبيعتنا الدنيا في تابوته القديم. حينها ستُكشف لنا أسراره، وستُفصح شفاه أبو الهول المختومة عن سرّها.

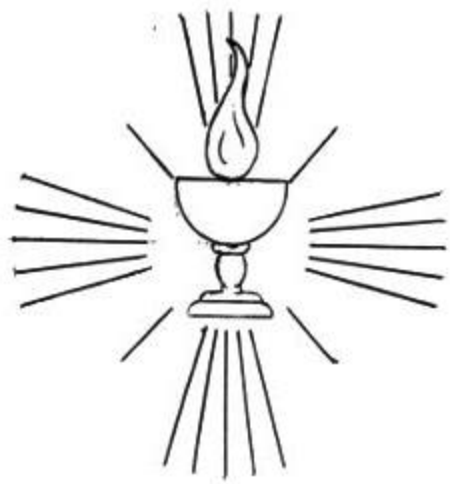


WHERE YOUR TREASURE IS, THERE WILL YOUR HEART BE ALSO.



WHERE YOUR TREASURE IS, THERE WILL YOUR HEART BE ALSO.

THE WHITE GRAIL



Choose now your path

Service.

Self-Sacrifice.

Purification.

Love.

Study.

THE BLACK GRAIL



Choose now your path

Prosperity at others expense.
Selfishness.
Short-cuts.
Mastered by appetite.
Comfort.

نهاية الكتاب